آيات "قُلْ" في القرآن الكريم: المعنى والدلالة

(دراسة تداوليّة)

د. جاسم الفارس

© حقوق النشر الإلكتروني محفوظة لدار ناشري للنشر الإلكتروني.
www.Nashiri.Net

© حقوق الملكية الفكرية محفوظة للكاتب.
نشر إلكترونيا في شوال، 1442/يونيو، 2021.

يمنع منعا باتًا نقل أية مادة من المواد المنشورة في ناشري دون إذن كتابي من الموقع. جميع الكتابات المنشورة في موقع دار ناشري للنشر الإلكتروني تمثل رأي كاتبيها، ولا تتحمل دار ناشري أية مسؤولية قانونية أو أدبية عن محتواها.

الإخراج الفني: ابرار الحازمي
التدقيق اللغوي: خيرية الألمعي

(المدني من السور ينبغي أن يكون منزلًا في الفهم على المكي، وكذلك المكي بعضه مع بعض، والمدني بعضه مع بعض، على حسب ترتيبه في التنزيل؛ وإلَّا لم يصح).

الشاطبي/ الموافقات/ج3.

نبذه عن الكتاب

اقتصرت الدراسة على الفعل "قُل" في القرآن الكريم، واقفة عند مضامينه ودلالاته الحضاريَّة، وذلك لأنَّ هذا الفعل فيه ميزة واضحة تتمثّل بما يأتي:

1. إنَّه خطاب الذات الإلهية إلى الرسول حصراً، ليقول ما يبلغه الله تعالى من قول في القضية المحدَّدة.
2. تتجلّى فيه سلطة العلم الإلهيّ.
3. إنَّه فعل التبليغ الإلهيّ، المرتبط بقصد الله عزّ وجل في تحقيق الغاية من التبليغ، وهو إعادة صياغة الوجود الإنساني على وفق العلم الإلهيّ.
4. إنَّه الفعل الذي ينطوي على الحريّة التي تقود إلى الغيب، وعلى القوة التي تقود إلى العدالة، إنَّه (القول الثقيل) الذي يعيد صياغة الروح والعالم على وفق منطق الحقّ، والحقيقة، والعدل، والجمال.

محتـــويات الكتـــــاب

نبذه عن الكتاب 3
المقدمة 5
الفصل الأول: آيات "قُل" الدلالات والمقاصد : رؤية تداوليّة 11
الفصل الثاني: القول وأشكاله في القرآن الكريم 22
الفصل الثالث: تحليل آيات "قُل" في السور المكية 39
الفصل الرابع: تحليل آيات "قُل" في السور المدنية 88
الفصل الخامس: أسس الدين في ضوء آيات "قُل" 108
الخاتمة 138
قائمة المصادر 140

المقدمة

لأنَّ الكلمة بيت المعنى، فإنَّ استعمالها في ضوء معناها يحقق آثارًا حضارية فعّالة، ولأنَّ في الفعل "قُل" تكمن معانٍ متعددة الأبعاد والتأثيرات، تتكثف جميعها في(التكليف) الإلهي لمن يختار هدى الله الذي يتألّق في الفعل "قُل".

والفعل "قُل" له جمالهُ في القرآن الكريم، وخصوصيته كذلك. يتمثّل جماله في وحدة صيغته، وتعدّد المعاني الثاوية فيه، على خلاف الأفعال الأخرى التي تتعدّد أشكالها في التعبير عن معنى واحد. أمّا خصوصيته فتتجلّى في أنّه يمثّل لغة (الكينونة الإلهية) في قضايا محددة لا ينبغي حتى للرسولﷺ مخالفتها؛ فالقرآن الكريم في إطار القول فيه مستويان:

المستوى الأول: قول الله ﷻ الحقيقي.

المستوى الثاني: قول الله ﷻ على الحكاية: (قول ما سواه).

الفعل "قُل" هو قول الله ﷻ ليس حكاية عن أحد كما هو الحال في نقل الكلام عن الآخر، بني إسرائيل، وإبراهيم، ونوح، وأصحاب الرّس، وثمود.. وما إلى ذلك من: قصص، وأحداث، ومواقف عن الآخرين ولهم.

الفعل "قُل" لا يرسم واقعًا حُلميًّا، إنّما يحدِّد مسارات الدين، ويخطِّط للتغيير والبناء وإعمار العالم، يرسم خارطة الحضارة الإسلامية بالأمر القرآني، إنَّه روح المعادلة القرآنية في إعمار العالم، (من الوحي إلى الحياة). وأعلى مستويات الوحي هنا هو "قُل" بتجلياته المتعددة بعيدًا عن التجارب الإنسانية التي يستعرضها القرآن الكريم.

إنَّ التجارب الحضارية التي يستعرضها القرآن الكريم هي إمَّا مطابقة لقول الله ﷻ، أو مخالفة له، فهي المصاديق العملية لقول (الكينونة الإلهية) التي أراد الله ﷻ أن نتداوله في بناء حضارة الوحي وإعمار العالم، الأمر الذي يدعونا إلى تأسيس البحث على (المنهج التداوليّ) في معالجة الفعل "قُل"، وطبيعة استعماله في

ميادين الحضارة الإسلامية كافة، بغية الوقوف على عمل اللغة، وكيف تنجز وظائفها الحضارية بدقة.

تكشف اللغة عن جوهر العالم ومظهره، وهي سلطان المعرفة، فكل سلطة للمعرفة ما هي إلا تجليات سلطة اللغة، فالمعروف "أن اللغة تُعدّ خاصية الكائن البشري الأساسية، بحيث جرى تعريفه بها، على أنه كائن ناطق بما يفيد أن كينونة الإنسان تكمن في اللغة وفي داخلها، وبالتالي فلا وجود له خارج اللغة. إن تموقع الكائن الإنساني لا يمكن أن يحدث إلا باللغة وفي اللغة وللغة".

وفي هذا السياق تعد اللغة إحدى أهم وسائل الاتصال بين الله العليم الحكيم، وبين الإنسان؛ إذ بها يتحول القرآن الكريم إلى طاقة حركية حضارية، وبالبحث اللغوي نعيد اكتشاف القرآن الكريم في ضوء فلسفة اللغة ووظائفها الحضارية.

لذلك لا بد من أن نخصص مباحث لغوية ترى في القرآن الكريم قضية لغويّة وجوديّة وجماليّة تتطور بتطور الحضارة، بغية إنتاج تشكيلة حضاريّة تتطور هي الأخرى تحت ظلال حريّة القرآن الكريم؛ بغية إدراك الوجود ومعرفته على أسس: عقائديّة، وعقليّة، وجماليّة، وعلميّة، رصينة، وهذا يعني تحديد وجودنا الحضاري في ضوء لغة القرآن الكريم، فهي القادرة على أن تمدّنا بقدرة عالية الكفاءة على وصف العالم، ومنهجه، وتفسيره، وتَغيّره.

إنَّ الأنموذج اللغوي الذي يساعد على إنجاز هذه المهمة هو إدراك المبحث اللغوي للفعل "قُل"، بوصفه نتاج عليم حكيم، إلى مستمع مثالي هو الرسول محمد ﷺ، وكيف ستنجز عملية تداول المضامين الثاوية في هذا الفعل الخلّاق. وذلك لأنَّ الفعل "قُل" هو أداة تقود إلى وظيفة تنجز بحزم رياضيّ، وهو البعد الحضاريّ في اللغة؛ إذ ليس هناك انفعالات وتحيّزات، إنما الكل يعمل على وفق منطق له شروطه الخاصة.

تتكثف الحضارة في اللغة، فهي ذاكرة الحضارة، ولغة القرآن الكريم، في إطار هذا التصور، هي لغة الحضارة، التي تؤسس علمًا وعقلًا واقتصادًا وأخلاقًا ومنطقًا، يرتقي بالمجتمع إلى أعلى درجات الرفاه الحضاري؛ إذ إنَّه أرقى وظائف اللغة هي

إنشاء المجتمعات البشرية التي تتطور عبر اللغة إلى مجتمعات حضارية، بوصفها إحدى أدوات تغييرِهِ المهمة.

واللغة هي أداة الحوار الحضاري بين الله العليم الحكيم وبين البشر، وبين البشر أنفسهم، وفيها تتراكم المعرفة. وقد رسمت لغة القرآن الكريم ملامح المعرفة الإسلامية وثقافتها وعلمها، وحدّدت آليّات عمل العقل الإسلامي. إذ تدعو هذه اللغة دائمًا إلى التفكير والتفكّر في ملكوت السماوات والأرض والأنفس، واكتشاف قوانين السنن الفاعلة في هذا الملكوت: الاجتماعيّ، والتاريخيّ، والثقافيّ، والطبيعيّ.

وحدَّدت لغة القرآن الكريم مسارات وعي الأمة في الإطار: العقائديّ، والفقهيّ، والقانونيّ، والاجتماعيّ، والمعرفيّ، والتاريخيّ، والاقتصاديّ... وما إلى ذلك؛ فاللغة هي مصنع الإدراك والوعي بمستوياته المتعددة: الحسِّيَّة، وغير الحسِّيَّة، وقد راعت لغة القرآن الكريم هذه المسألة بعناية حين رسمت الوجود بعالَمَيهِ: عالَم الغيب، وعالَم الشهادة.

لقد صنعت اللغة من خلال القرآن الكريم أمة من أمم متعددة توحَّدت على المفاهيم المحوريَّة في القرآن الكريم: التوحيد، والنبوَّة، والغيب وعوالمه، وغيرها من المفاهيم.

في هذا الإطار اقتصرت الدراسة على الفعل "قُل" في القرآن الكريم، لنقف عند مضامينه ودلالاته الحضاريَّة، وذلك لأنَّ هذا الفعل فيه ميزة واضحة تتمثّل بما يأتي:

1ـ إنَّه خطاب الذات الإلهية إلى الرسول حصرًا؛ ليقول ما يبلغه الله ﷻ من قول في القضية المحدَّدة.

2ـ تتجلّى فيه سلطة العلم الإلهيّ.

3ـ إنَّه فعل التبليغ الإلهيّ، المرتبط بقصد الله ﷻ في تحقيق الغاية من التبليغ، وهو إعادة صياغة الوجود الإنساني على وفق العلم الإلهيّ.

4ـ إنَّه الفعل الذي ينطوي على الحريّة التي تقود إلى الغيب، وعلى القوة التي تقود إلى العدالة، إنَّه (القول الثقيل) الذي يعيد صياغة الروح والعالم على وفق منطق الحقّ والحقيقة والعدل والجمال.

يحدّد الفعل "قُل" علاقتنا بالعالم، بكل ما يُمَثّلهُ العالم من مكوِّنات: اجتماعيّة، واقتصادية، وسياسية، وثقافية، وجماليّة، ويحدد كذلك أدلة وظائف المنظومات المتعدّدة: العقائدية، والاقتصادية، والاجتماعيّة... وما إلى ذلك. وبالتأكيد على المقاصد والغايات، ففي "قُل" يتفاعل العقل الإنساني مع لغة الكينونة الإلهيّة، من أجل تأسيس قواعد الحوار القرآني مع البشريّة عبر الرسول، بغية تكريس منظومة قيمَيّة تنظُم الوجود الإنساني فيما يأتي:

أـ الحريّة.

ب ـ الحقّ والحقيقة.

ج ـ العقل.

د ـ الأخلاق.

هـ. الجمال.

وبناء على المنظومة القيميّة والعقليّة، تبيّن بأنَّ الفعل "قُل" هو مساحة ضوء تُفسَّر بها حركة البشرية سياسيًّا، واقتصاديًّا، واجتماعيًّا، وأخلاقيًّا... وما إلى ذلك. وإنَّه رفض لمنطق القتل والجبر والقهر على مبدأ ذلك أن مبادئ الناس مختلفة.

إنَّ إدراك وظيفة الخطاب في بنية "قُل" اللغويّة، يقودنا إلى إنجاز المطلب الإلهيّ بدقّة ووضوح ويُسر محقِّقين التقوى بأرقى أشكالها الإيمانيّة والعلميّة، فالله ﷻ يطالبنا في آيات "قُل" أن نفهم سرّ العلاقة بين العقل والمعرفة، والمعرفة هنا ليست نظرية فلسفية، إنما هي علم إلهي منزل لإدراك حقيقة الوجود بأبعاده المتعددة، ولذلك فإنَّ أي خلل في إدراك العلم الإلهي، يقود إلى خلل في إدراك العالم، وإلى خلل أكبر في إدراك وظيفة الدين والرسالة الإلهيّة، وبالتالي إلى خلل في الفعل الإنسانيّ، وخلل في النتائج المترتّبة عليه.

الفعل "قُل" خطابُ بناء الشخصيّة النبوية، وتحديد آليّاتها ووظائفها؛ فقد واجه الرسولﷺ، مهامَّ بناء الأمة منطلقًا من "قُل" في مواجهة الحياة وتفاصيلها، والأمة وعناصرها، والعالم وبنيته؛ إذ في "قُل" تصاغ قواعد المنهج النبويّ وسننه في بناء الإنسان والعالم؛ فهو يتحرك في إطار آيات "قُل" ليس له تجاوزها، وتتفرّع تفاصيلها ودلالاتها في الخطاب القرآني خارج إطار "قُل"، كما هي في خطاب المؤمنين على سبيل المثال.

وفي الفعل "قُل" تفريق بين الحقيقة والتاريخ، إذ إنَّ متضمنّات "قُل" حقائق، وفي غير "قُل" يكمن كثير من التاريخ بوقائعه المتعددة البنّاءة والهدّامة، الحريّة والاستبداد، الحقّ والباطل، الحكمة والصلف. وفي "قُل" يكمن جوهر رسالة الله ﷻإلى البشر، فهو فعل التبليغ الإلهيّ، وهو جذع القرآن الكريم الذي يحمل أغصانه وثماره. وهي التي تحدد قول النبي ﷺ في الرد على الكافرين بالرسالة، فليس له أن يقول رأيه.. إنما القول قول الله ﷻ.

ورد الفعل "قُل" في (294) موضعًا، في (270) آية، ليؤكد على أهمية الخطاب القرآني اللغوي ذي الأبعاد غير المتناهية في بناء الحضارة القرآنية، إنه قيمة لغوية متميّزة داخل بنية القرآن الكريم؛ لأنَّ بنية القرآن اللغويّة هي مجموعة تراكيب من جمل وأحاديث حكاها الله العليم الحكيم، عن قائليها، في حين إن خطاب "قُل" هو لغة الذات الإلهيّة للرسول ومنه إلى العالم. في ضوء هذا الفهم للفعل "قُل"، جاءت هذه الدراسة، التي توزعت على خمسة فصول، تناول الفصل الأول: (آيات "قُل": الدلالات والمقاصد، رؤية تداوليّة)، لغة القرآن في إطار وظيفة اللغة ومفهوم(التداوليّة)، والكشف عن دلالات الفعل "قُل" ومقاصده.

وتناول الفصل الثاني: (القول وأشكاله في القرآن الكريم) لبيان المعاني الثاوية وراء هذه الأقوال بغية الوصول إلى تعريف للقرآن يختلف عن التعريف السائد.

في حين تناول الفصل الثالث: (تحليل آيات "قُل" في السور المكية)؛ للكشف عن معانيها ودلالاتها في العصر المكي، زمن بدء نزول القرآن الكريم، والوقوف على القضايا التي كانت محور المواجهة مع قريش وحلفائها.

أما الفصل الرابع: (تحليل آيات "قُل" في السور المدنية)؛ للوقوف على القضايا التي شكلت محور المواجهة في العصر المدني مع مناهضي الرسالة.

في حين تناول الفصل الخامس: (أسس الدين في ضوء آيات "قُل")؛ فقد تناول القضايا الدينية التي حدد الله ﷻ معانيها ومضامينها للرسول واتباعها، وانتهى البحث في الخاتمة.

وفي الختام لا بد من أن أتقدم بخالص الشكر إلى أستاذي المفكر الاقتصادي الدكتور باسل البستاني، والدكتورة فاتن البستاني، والدكتورة ليلى العلي؛ لمراجعتهم الكتاب منهجيًّا ولغويًّا، فجزاهم الله خير الجزاء وإلى زوجتي السيدة وصال مصطفى؛ لتحملها عناء إدارة البيت فوفرت الوقت للقراءة والبحث والكتابة.

د. جاسم الفارس

2020/ 8/ 1

العراق – الموصل

الفصل الأول: آيات "قُل" الدلالات والمقاصد: رؤية تداوليّة

ينبغي دراسة لغة القرآن الكريم، بوصفها مؤسسة تتكون من منظومة من العلامات الإلهية التي تشير إلى حركة الكون والإنسان وآليات خلقهما وتطويرهما، وتعين الإنسان على امتلاك قوانين العلم الإلهيّ في النهضة والتمكين الحضاريَّين، هي لغة الكينونة الإلهيّة، لغة الكشف الدائم عن حركة الحياة والإنسان والعالم، بأشكالها الوجوديّة العيانيّة واللغويّة والذهنيّة، وذلك لأنَّ القرآن الكريم كيان خلّاق تمارس اللغة فيه فعل التغيير والبناء، فهي لغة علم من حيث القول، وهي لغة أدب من حيث الكتابة والجمال، وهي لغة حكمة من حيث التأمل والتفكر، إنَّها لغة تسهم في بناء العالم جماليًّا وحضاريًّا من خلال تراكيبها وأساليبها وبلاغتها واستعمالها.

تكشف اللغة جوهر العالم ومظهره، وهي سلطان المعرفة، وسلطة المعرفة هي إحدى تجليات سلطة اللغة. فالمعروف (أن اللغة تعد خاصية الكائن البشري الأساسية بحيث جرى تعريفه بها على أنه كائن ناطق بما يفيد أنَّ كينونة الإنسان تكمن في اللغة وفي داخلها، وبالتالي فلا وجود له خارج اللغة، إن توقع الكائن الإنساني لا يمكن أن يحدث إلّا باللّغة وفي اللّغة وللّغة)، تفتح اللغة آفاق المعرفة والعلم أمام العقل الذي يسمو بسموّ اللغة.

التداولية: هي دراسة لعلاقة اللغة بمستعمليها، أي دراستها من خلال المقام الذي قيلت فيه، وكذلك هي دراسة اللغة في أثناء ممارستها إحدى وظائفها: الإنجازية، والحوارية، والتواصلية. الأمر الذي يعني الاهتمام بأثر التفاعل الخطابيّ في موقف

الخطاب، أي: الاهتمام بظاهرة التواصل اللغويّ وتفسيره، وذلك لأنَّ كل حدث تواصليّ بين طرفين لا بد أن يحمل في طياته فعلًا كلاميًّا يمكن إخضاعه للدراسة.

يقوم المنهج التداوليّ على الآتي:

1ـ تحليل الحدث (الفعل الكلامي).

2ـ تعيين الوظائف: التداولية، والمقصدية، والحجاج، والأمر.

3ـ الاهتمام بالخطاب وفاعله (منشئه).

إن تحليل الخطاب حسب المنهج التداوليّ لا بد له من عنصرين:

أـ دراسة بنيته الداخلية والمتمثلة بتحليل أفعال الكلام وتصنيفها بحسب إنجازاتها.

ب. دراسة بنيته الخارجية، من خلال تحديد الوظائف التداوليّة التي يحملها في طياته، (مقاصد الكلام والحجاج).

وتُعدّ التداوليّة نظرية نقدية تدرس الظاهرة الأدبيّة والثقافيّة والفنيّة والجماليّة، في ضوء التداوليات اللسانيّة، أي: دراسة النص أو الخطاب الأدبي في علاقته بالسياق التواصليّ، والتركيز على أفعال الكلام، واستكشاف العلاقات المنطقية الحجاجية، والاهتمام بالسياق التواصلي والتلفّظي.

تهتم التداوليّة بعنصر المقصديّة والوظيفيّة في النصوص والخطابات، وتركز على فهم العلاقات بين المتكلم والمتلقي ضمن سياق معين، لأنَّ البعد التداولي ينبني على سلطة المعرفة والاعتقاد، وهذه هي المقاربة التواصلية الوظيفية... وهي محل اهتمام الثقافة الغربية، غير أنها حديثة العهد في الثقافة العربية، رغم حضورها في تاريخ هذه الثقافة، تحت باب دراسة المعنى في البلاغة.

إنَّ النص الأدبي (هنا القرآن الكريم) ليس مجرد خطاب تبادل الأخبار والأقوال والأحاديث، بل يهدف عبر مجموعة من الأقوال والأفعال الإنجازية إلى تغيير وضع المتلقي، وتغيير نظام معتقداته، أو تغيير موقفه السلوكي من خلال ثنائية، افعل ولا تفعل؛ إذ إنَّ الخطاب في المنظور التداولي عبارة عن أفعال كلامية تتجاوز الأقوال

والملفوظات إلى الفعل الإنجازي والتأثير الذي يتركه ذلك الإنجاز، ومن هنا تنبني نظرية الأفعال الكلامية على ثلاثة عناصر هي:

- فعل القول: لفظ في جملة كاملة المعنى.
- الفعل المتضمن في القول: وهو الفعل الإنجازي (تحديد الغرض المقصود بالقول/الأمر).
- الفعل الناتج عن القول: إقناع، حث، إرشاد، توجيه، وهذا يعني أن الفعل الكلامي ينقسم الى ثلاثة أنواع:

- فعل القول.
- الفعل المتضمن في القول.
- الفعل الناتج عن القول.

تحقق التداوليّة تفاعلات مهمة على الصعيد الاجتماعي بين المتحاورين، (هنا الرسول والآخرين) تدعيمًا وتقوية، وتعزيزًا ورفضًا، كذلك (كما حصل مع أبي لهب/الأنموذج الرافض للدعوة) على سبيل المثال.

وبوصف القرآن الكريم لغة، فإن أحد أهم وسائل تحويله إلى طاقة حركية، أن نحدد وجودنا الحضاري في ضوء لغته، فهي القادرة على مدِّنا بقدرة عالية الكفاءة على وصف العالم، وتفسيره، وتغييره فضلًا عن أنَّ الخطاب اللغوي بنية حضارية يختصر العقيدة والاقتصاد والاجتماع والقانون، والأدب والفكر ومعطياتها الجمالية... وما إلى ذلك، وتتحدد قيمة البنية الحضارية للخطاب اللغوي في الآثار التي يحققها في البيئة الحضارية التي يخاطبها.

اللغة قوة إنجاز حضاري، في لغة الله ﷻ، يتطابق القول والفعل في (كُن)، ولنا في لغة الله ﷻ المثل الأعلى، أن يتطابق القول والفعل، وهي حاجة حضارية ضرورية للارتقاء والنهضة.

تتيح (التداوليّة) دراسة (الفعل) في الحياة، فـ"قُل" ليس مجرد فعل أمر، إنما هو فعل إعادة بناء المنظومة القيميّة والتربويّة والأخلاقيّة والإيمانيّة في الحياة في ضوء (الوحي)، أي تحويل علم الله ﷻ إلى فعل في واقع حيّ.

تتحدد أسس التداوليّة في الآتي:

1ـ الغاية من الفعل.

2ـ اتجاه المطابقة بين العلاقة اللغوية والعالم الواقعي.

3ـ الحالة النسبية المعبر عنها، مثل: اليقين، والرغبة، والتحسر.

4ـ شروط الإخلاص في القول، وتتعلق بالعناصر الثلاثة:

المخاطِب، والخطاب، المخاطَب.

لقد أقام (سيرل) تصنيفاته للأفعال الكلامية على أسس معينة هي:

1. إنَّ الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي، وإنَّ للفعل الإنجازي دليلًا يسمى دليل القوة الإنجازية؛ يبين لنا نوعية الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم، ويتمثل في نظام الجملة، والنبر، والتنغيم، وعلامات الترقيم. والقوة الإنجازية هي الشدة والضعف اللذان يعبر بهما عن الغرض الإنجازي في المواقف الحضارية المتعددة، أيا كان هذا المؤشر أو العلامة الدالة على تلك القوة.

ب. إن الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم، بل هو مرتبط أيضًا بالعرف اللغوي والاجتماعي.

وفي هذا الإطار يُعدّ الفعل "قُل" من أفعال الكلام الأمرية، التي تقتضي متابعة العمل، وهو أيضًا من أفعال تنفيذ الكلام، وليس حكمًا في حد ذاته، فهو أحد بؤر القرآن المهمة، لكون البؤرة تستند إلى المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو الأكثر بروزًا في الجملة.

وهناك أنواع من البؤر منها على سبيل المثال: (بؤرة التجديد/بؤرة المقابلة). والمقصود ببؤرة التجديد: هي البؤرة المستندة إلى المكون الحامل للمعلومة التي يجهلها المخاطب، والمعلومة التي لا تدخل القاسم الإخباري المشترك بين المتكلم والمخاطب، وهي البؤرة التي تشتمل على الفعل "قُل". وتعرف بؤرة المقابلة: بأنَّها البؤرة التي تستند إلى المكون الحامل للمعلومة التي يشكّك المخاطب في ورودها، أو المعلومة التي ينكر المخاطب ورودها.

لغة القرآن تمثيل للكون، من حيث إن القرآن هو كون مسطور، داخل هذه اللغة /الكون مضامين متعدد، من بينها يبرز الفعل "قُل" متميزاً في صياغة أسس الإسلام ليشكل(البؤر) الأساسية للدين التي تتمحور حولها حركة الحضارة الاسلامية ونهضتها.

ثمة علاقة بين الفعل والمعنى، فمعنى الكلمة أو العبارة، يتحدّد، من خلال الأفعال التي تقف خلف الكلمة أو العبارة، فالكلمات الدالة على الأمر والنهي والاستفهام، تتطلب قيام المتلقي بممارسة هذه الأفعال، فالفعل اللغوي ينتج عنه فعل اجتماعيّ أو ثقافيّ.

أصبح الفعل الكلامي نواة مركزية في كثير من الأعمال التداوليّة، وفحواه أن كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلًا عن ذلك، يعد نشاطًا ماديًّا نحويًّا يتوسل أفعالًا قولية لتحقيق أغراض إنجازية كالطلب والأمر، والوعد والوعيد، وغايات تأثيرية تخص دور فعل المتلقي كالرفض والقبول، ومن ثَمَّ فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلًا تأثيريًّا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيًّا، ثَمَّ إنجاز شيء ما.

وبناء على هذا، ينبغي الاقتناع بأن فعل القول في القرآن الكريم، يهدف إلى وجود تطابق بين معنى اللفظ ومراد الله ﷻ، وما يفهمه السامع، وترجمة هذه الأقوال إلى أفعال إنجازية بشرية.

تقوم الأفعال بدور مهم في تحديد حيوية الثقافة، فالثقافة ليست هي المحاكاة الأكثر عمقًا بالنسبة للمجتمع؛ أي مجتمع، بل تمثل المجال الأكثر ارتفاعًا وفاعلية، ومن ثَمَّ تُعدّ الثقافة سمة أساسية لصيرورات المجتمع المعقدة والمتداخلة، ونحن نستنبط بواسطتها الأوامر، والضوابط، والنواهي، والمعاني من العبارات اللغوية المتداولة على لسان الجماعة، ويؤدي التواصل دورًا مهمًّا في توطيد العلاقة بين اللسانيات والثقافة، لما يتميز به هذا المصطلح، من ثراء منهجي وثقافي؛ إذ يستوعب هذا المصطلح مفردات ومصطلحات فهمه: كالإبلاغ والإخبار، والتحاور، والتخاطب، والتواصل.

إذن كل كلام يتوجه إلى مخاطب، يؤسس علاقة ضرورية وينسب إليه أدوارًا لا يسعه إبطالها حتى إن امتنع عن الرد.

متضمنات آيات "قُل" هي أفعال معرفية تتم بأمر الله ﷻ عبر الفعل "قُل"، فهي أمر الله للرسول بأن ينجز هذا القول، وهو الحكم الإلهي الذي بتحقيقه ننال رضاه. وهي تحدد البعد الوجودي للدين، من خلال تحديد موقع الرسول ﷺ في التبليغ. والتأكيد على إنجازه تحقيق القول في فعل محدد.

في ضوء هذا التصوّر يمكننا رصد دلالات آيات "قُل" ومقاصدها على النحو الآتي:

"قُل" هي فضاء التربية الإلهية لمن شاء أن يستقيم، وأول المأمورين بها هو النبي الكريم محمدﷺ، ومن خلاله البشر كافة، ومن يلتزم بها اختيارًا يكون المسلم/المؤمن.

"قُل" هي سبيل الله الذي يسلكه المؤمنون به، ومن يسلك سبيل "قُل" لا ينهل من غير علم الله كما هو في القرآن الكريم/ رسالة الله الحق / لأنَّ في الأخذ عن غير نبع الله - في الدين- خيانة العهد الإيماني مع الله ﷻ.

"قُل" وحدة لغوية خارج التزامن، وفاعله في أشكال التزامنية في إطار حركة الزمان.

"قُل" تكثيف للعلاقة بين الله والنبي بغية تحديد مضمون الرسالة المكلف بها، وعيًا وتبليغًا.

"قُل" ليست انعكاسًا للواقع، إنما هي قوة تشييد واقع جديد، هو واقع (التوحيد).

"قُل" شَيَّدَت وجودًا دينيًّا لا يمكن اختراقه بالوضع والتدليس... وما إلى ذلك. أو تجاوزه أو مشاركته بأي شكل من الأشكال، وجود علينا التفكير في ضوئه بغية تشييد طاقاتنا العقلية والمعرفية والعملية، برؤية موضوعية لا تتأثر بوجهات نظرنا عن العالم.

"قُل" هي أمر الله ولغته الخالصة، في توجيه الرسول لتشييد الوجود الإسلامي، في ضوء مضامينه الإلهية/ الكلية.

"قُل" لغة الله التي لا يمكن للنبيﷺ أن يغير معناها ومبناها في تشييد البنية الحضارية الإسلامية.

"قُل" ليست وحدة في منظومة اللغة فحسب، إنما هي أمر إلهي يُعقل من خلال النبيﷺ في تشييد السلوك الاجتماعيّ الإسلاميّ.

"قُل" هي المجال الإلهيّ الحيوي الذي بدراسته تنكشف قضايا الدين الأساسية والمواقف.

"قُل" تأسيس لقواعد الحوار القرآني مع البشرية عبر الرسول ﷺ. يقوم الحوار القرآني على أسس هي:

_ تكريس الحرية والإرادة.

_ تكريس الحق والحقيقة.

_ تكريس العقل.

_ تكريس القيم الأخلاقية.

"قُل" رفض لمنطق القتل والجبر والقهر على مبدأ ما، فالمبادئ الإنسانية متعددة وليست كلّها باطلة.

"قُل" تكريس للشهود الحضاري والعقل.

"قُل" إجابات على تساؤلات إنسانية في الحياة والكون والإنسان.

"قُل" تكريس لوحدة العقل والحرية والقيمة.

"قُل" هي نتاج متحدث عليم حكيم، إلى مستمع مثالي هو الرسولﷺ، وفي هذا حفاظ على قابليّة النص اللغوية، غير أنَّ المشكلة هي عندما يبلّغ (المستمع المثالي) الآخرين، والمشكلة بعدها كيف يحافظ الآخرون على حكمة النص ومقاصده.

لقد ورد فعل الأمر "قُل" في القرآن الكريم؛ ليؤكد على أهمية الخطاب القرآني الإلهي اللغوي، ذي الأبعاد غير المتناهية في بناء حضارة القرآن الكريم. وليوجّه النبي في حواراته مع الرافضين للرسالة الكافرين بها، فلا يجتهد رأيه في الإجابة؛ لأنَّ الدين من الله... وليس من البشر.

"قُل" تركيز لسلطة الرسول محمد ﷺ، في تبليغ الرسالة. رسالة الله ﷻ.

تحليل آيات "قُل" تفترض إدراك الرؤية القرآنية للعالم؛ فالخطاب للعالم أجمع وليس للعرب، أو أهل مكة خاصة.

لأهمية الموضوع الذي يتضمّنه "قُل"، فقد خاطب الله ﷻ الرسولﷺ أن يقول في هذه القضية ما سيقوله الله ﷻ، لكي يعلم العالم من خلالها وظيفة الرسولﷺ التبليغية، ولكي يتبع الوحي، لا أن يشرع ما يريد هو أو غيره.

-"قُل" تعمل على تأسيس حضارة تنبثق من النص الإلهي وحده، بالوعي النبوي.

_"قُل" كرست تغيير العالم بالقيادة النبوية الملتزمة بالوحي.

_"قُل" بوصفها جملة أمريّة، فهي تؤكد على إنجاز الرسولﷺ المأمور به، في إطار السياق الحضاري.

_"قُل" وآياتها قطعيّة الدلالة والثبوت، لا تقبل إلّا الإنجاز، وإلّا فهناك مخالفة للنص القرآني، الأمر الذي يترتب عليه تبعات دنيوية وأخروية.

_"قُل" تحدّد سلوك النبي في تنزيل الوحي ليكون نورًا يضئ دروب المؤمنين.

_"قُل" وآياتها تأخذنا إلى الأهداف العقدية والتشريعية في مجالات الحياة كافة.

_"قُل" فعل الأمر الإلهي للرسولﷺ، صنعت المحيط العلمي والإيماني للعقل الإسلامي المنضبط بالقرآن الكريم، إذ أدرك أن النبي ﷺ مأمور في ضوء "قُل" باتّباع الوحي/النص الإلهي، وأن يبلغ رسالة الله ﷻ، التي أمره بأن يبلغها على هذا النحو حصرًا.

_"قُل" لغة الفكر الكونية؛ لأنها تناولت المشتركات الإنسانية في الإيمان والحضارة والنفس.

-"قُل" لفظ محدد، خطاب الله؛ ذو المضمون الأمري للرسولﷺ؛ بوصفه المستمع المخاطَب المحدّد، في مقام محدّد هو مقام الرسولية، لتحقيق هدف محدّد، هو تأسيس قواعد الدين بلا تدخل من أحد، لتحقيق سعادة الإنسان والعالم في الدارين.

يشتمل البعد الدلاليّ في اللغة- فضلًا عن- البعد التركيبي الذي يضع المعنى للبنى النحوية والصرفية، والبعد التداوليّ الذي يخضع المعنى للنظام القاموسي، يشتمل كذلك على الانفتاح على البعد المرجعي والثقافي، والفعل "قُل" في هذا الإطار يشتمل

على البعدين ـــــ البعد النحوي من حيث هو (فعل أمر)، والبعد البلاغي، من حيث هو دلالة على أن الله ﷻ يقول كذا (في القضية المعينة) وبالتالي لا مناص للرسولﷺ من العمل على وفق مقتضى الأمر الإلهيّ الذي لا يَحيّد عنه، وبذلك يكون الفعل "قُل"، هو بؤرة المنهج النبوي في تحقيق علاقة فاعلة بين المعنى والممارسة.

والفعل "قُل" هو من الأفعال الكلامية التي لها مكانتها في المنهج التداوليّ، وهو يشتمل على الأقسام الأساسية التي أشار إليها (أوستن) في تنظيره للعمل الكلامي، هذه الأقسام هي:

1ـ فعل القول: وهنا فعل القول هو "قُل" الذي تثوي فيه أبعاد بلاغية ونحوية ذات بناء سليم، وهو هنا فعل الأمر/فعل التبليغ.

2ـ الفعل المتضمن في قول: وهو الفعل الإنجازي، العمل الذي ينجز بقول، وهو ما حققه الفعل "قُل" في بناء المنهج النبوي.

3ـ الفعل الناتج عن القول: وهو الإنجاز النبوي في تغيير العالم، وفي ذات الرؤية التداوليّة للفعل "قُل"، فإن خصائصه تتمثل في كونه:

أ ـ إنجازًا دالًّا.

ب ـ فعلًا إنجازيًّا، ينجز الأشياء.

ج ـ فعلًا تأثيريًّا، له آثاره الواضحة.

وفي هذا السياق، تتحدد المهام التداوليّة للفعل "قُل" على النحو الآتي:

- في استعمال الفعل: فهو كلام مجرد، مصدره الله ﷻ، وهدفه تحديد مسار المنهج النبوي، ومقامه التواصلي، وهو تبليغ رسالة الله ﷻ إلى البشر، بغية تحقيق الهدف، تغيير العالم وإعادة بنائه.

- في جريان العمليات الاستدلالية في معالجة اللفظ، فهو يمثل الأمر الإلهي غير القابل للتأويل والتراخي، وبذلك يكون الفعل "قُل" نقطة التقاء اللغة بالإدراك، وعلاقة اللغة بالتواصل، وبهذا الاتجاه فإن الفعل "قُل" بوصفه أحد عناصر البنية اللغوية القرآنية، قد أسهم في إعادة النشاط الذهني للفعل الإنساني في الجزيرة العربية، من خلال تبديل منظومة المفاهيم السائدة هناك، بالمفاهيم القرآنية التي

وجهت اهتمامه إلى الكون وآياته، والأرض ومعطياتها، والمجتمع ومكوناته، والإنسان ومكانته، والعقيدة وأهميتها.

ما طبيعة الأفعال الكلامية المنبثقة عن الأمر؟

الأمر هو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء مع الإلزام، وله أربع صيغ: فعل الأمر، والمضارع المجزوم بلام الأمر، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر.

يمكن تلخيص العناصر التي يكون الأمر فيها فعلًا إنجازيًّا مباشرًا فيما يأتي:

1ـ عنصر العلو: أي أن يكون مكانة الآمر أعلى من مكانة المأمور، كمكانة الخالق بالنسبة للمخلوق.

2ـ عنصر الاستعلاء: هو عنصر مقامي يتصل بهيئة النطق وطبيعة الأداء الصوتي للآمر، ويشترك العنصران، العلو والاستعلاء في تحديد دلالات الوجوب والدعاء والالتماس.

3ـ عنصر الإمكان: أن يكون المأمور للقيام بالفعل قادرًا على فعله.

4ـ عنصر الزمان: ينبغي ألّا يكون الفعل المأمور القيام به حاصلًا وقت الطلب بل في المستقبل؛ لأن تخلف عنصر الاستقبال في الأمر يخرجه إلى معانٍ تحويلية أخرى.

5ـ عنصر المصلحة: الذي يؤدي دورًا مهمًّا في تحديد دلالة صيغة الأمر، فالأصل أن الفعل المأمور القيام به يمثل مصلحة بالنسبة للآمر، كما يؤثر عنصر المصلحة في تحديد دلالة صيغة الأمر.

الملاحظ على هذه الشروط أنها شروط تداولية طبيعية لأداء وظائف معينة وتحقيقها لهذه الوظائف يقتضي تداولها، وتنظيم هذا التداول يقتضي وجود قواعد منظمة، ومن القواعد المنظمة لتداول الأمر ضرورة توفر مستعملها على سلطة الأمر وحصول العلم بتلك السلطة لدى المخاطَب.

ومن هنا تنبع أهمية التداوليّة في دراسة اللغة، في عالمها الحقيقي؛ إذ في التداوليّة تتحول الأقوال إلى أفعال لغوية ذات صبغة اجتماعية، وإبراز النشاط التفاعلي للغة، ودراسة الأفعال الإنجازية، واستخراج مقاصد الكلام لتيسير التواصل وضمان

نجاح الرسالة اللغوية بين المرسل والمستقبل وإظهار مدى الانسجام التواصلي بين أطراف العملية التواصلية.

ويبدو ذلك واضحًا من خلال المتضمنات الأساسية للفعل "قُل"، ودلالاتها الحضارية التي سنتناولها في الفصول الآتية.

الفصل الثاني: القول وأشكاله في القرآن الكريم

تعددت أشكال القول في القرآن الكريم، من خلال مستويات الجذر (ق. و. ل)، وعلى النحو الآتي:

1_[قال]:

ورد لفظ القول في القرآن الكريم نحو (529) مرة، على مستويات عدة هي:

أ_ قول الله ﷻ:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، (البقرة:30).

ب_ قول الأنبياء عليهم السلام:

قول موسى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. (البقرة:54).

قول إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾. (البقرة:126).

قول يعقوب: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. (البقرة:133).

قول عيسى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾. (المائدة:116).

قول نوح: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. (الأعراف:59).

قول هود: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾. (الأعراف:65).

قول صالح: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. (الأعراف:73).

ج ــ الملأ: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾. (الأعراف:75).

د ـ الشيطان: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾. (الأعراف:12).

هـ ــ المستكبرون: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (الأعراف:76).

و ـ الكافرون: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾. (الأعراف:66).

ز ـ المؤمنون: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾. (الزمر:15).

2ـ [قالت]:

الملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾. (آل عمران:42).

اليهود: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾. (التوبة:30).

إمرأة العزيز: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾. (يوسف:51).

نملة: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. (النمل:18).

بلقيس: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾. (النمل:32).

أم موسى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. (القصص:11).

امرأة فرعون: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. (القصص:9).

طائفة: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. (آل عمران:72).

أخت موسى: ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾. (القصص:12).

الأعراب: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. (الحجرات:14).

3_ [قالا]:

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. الأعراف:23

﴿وَلَقَدْ آَتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾. (النمل:15).

4_ [قالتا]:

بنات شعيب: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾. (القصص:23).

السماء والأرض: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾. (فصلت:11).

5_ [قالَهَا]:

﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. (الزمر:50).

6_ [قالوا]:

﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾. (البقرة:11).

﴿قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾. (البقرة:14).

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾. (البقرة:32).

﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾. (البقرة: 67).

7_ [قلتُ]:

﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾. (المائدة:116).

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾. (المائدة:117).

﴿قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾. (الكهف:39).

8_ [قلتم]:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾. (البقرة:55).

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام:152).

﴿قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾. (الجاثية:32).

9_ [قُلتُه]:

﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾. (المائدة:116).

10_ [قُلنا]:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾. (البقرة:34).

﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾. (الانفال:31).

﴿لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾. (الكهف:14).

11_ [أقُل]:

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة:33).

﴿وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾. (الأعراف:22).

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾. (الكهف:72).

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾. (القلم:28).

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. (يوسف:96).

12_ [أقول]:

وقد جاء ذكرها(19) مرة نورد بعضًا منها:

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾. (المائدة:116).

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾. (الأنعام:50).

﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾. (الأعراف:105).

﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾. (ص:84).

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾. (غافر:44).

13_ [تقل]:

وجاء ذكرها مرة واحدة:

﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾. (الإسراء:23).

14_ [تقول]:

وقد وردت(12) مرة، سنورد بعضًا منها:

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾.

(آل عمران:124).

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾. (هود:91).

﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾. (طه:94).

15_ [تقولن]:

ذكرت مرة واحدة في سورة الكهف:

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾. (الكهف:23).

16_ [تقولوا]:

وقد وردت نحو(16) مرة، منها:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(البقرة:104).

﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. (البقرة:169).

﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. (المائدة:19).

17_ [تقولون]:

فقد وردت تقولون(11) مرة، منها:

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. (البقرة:80).

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. (البقرة:140).

﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾. (الأنعام:93).

﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾. (يونس:77).

18_ [نقول]:

ذكرت نحو(11) مرة، نذكر منها:

﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾. (آل عمران:181).

﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾. (يوسف:66).

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾. (الأنعام:22).

19_ [لنقولن]:

وردت مرة واحدة في سورة النمل:

﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾. (النمل:49).

20_ [يَقل]:

وذكرت مرة واحدة في سورة الأنبياء:

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾. (الأنبياء:29).

21_ [يَقول]:

وقد جاء ذكرها نحو(68) مرة، نورد منها:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾. (البقرة:8).

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾. (البقرة:69).

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. (البقرة:142).

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آَتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾. (البقرة:201).

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾. (البقرة:214).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾. (هود:18).

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾. (البقرة:8).

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾. (الأحزاب:4).

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾. (الفجر:24).

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آَيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾. (الرعد:27).

22_ [يقولا]:

وجاء ذكرها مرة واحدة في سورة البقرة:

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ

مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. (البقرة:102).

23_ [يقولن]:

وقد وردت نحو(15) مرة، نورد منها:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾. (فصلت:50).

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾. (الزخرف:9).

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾. (الزخرف:87).

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾. (هود:8).

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. (لقمان:25).

﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾. (الأنبياء:46).

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾. (العنكبوت:61).

24_ [يقولون]:

وردت (93) مرة، منها:

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾. (البقرة:79).

25_ [قل]:

وردت (332) مرة، وآياتها موضوع الدراسة.

26_ [قلن]:

وقد ذكرت مرة واحدة:

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾. (يوسف:51).

27_ [فقولا]:

وردت (3) مرات، هي:

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾. (طه:44).

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾. (طه:47).

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. (الشعراء:16).

28_ [قولوا]:

فقد وردت مرتين:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. (البقرة:136).

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. (الحجرات:14).

29_ [فقولوا]:

وردت مرتين:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. (آل عمران:64).

﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾. (يوسف:81).

30_ [قولي]:

وردت مرة واحدة:

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾. (مريم:26).

31_ [قيل]:

وقد وردت نحو(49) مرة، نورد منها:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾. (البقرة:11).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا كَمَا آَمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آَمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. (البقرة:13).

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾. (البقرة:59).

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾. (البقرة:206).

32_ [يقال]:

وجاء ذكرها (ثلاث) مرات، هي:

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾. (الأنبياء:60).

﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾. (فصلت:43).

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾. (المطففين:17).

33_ [تقوّله]:

وردت مرة واحدة:

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. (الطور:33).

34_ [القول]:

وردت نحو(52) مرة، نورد منها:

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾. (المجادلة:2).

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾. (المجادلة:1).

﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾. (ق:29).

35_ [قولاً]:

فقد وردت نحو(17) مرة، نورد منها:

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾. (البقرة:59).

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾. (البقرة:235).

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾. (النساء:5).

36_ [قولك]:

ذكرت مرة واحدة في سورة هود:

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾. (هود:53).

37_ [قولكم]: وجاء ذكرها مرتين، وهي:

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾. (الأحزاب:4).

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. (الملك:13).

38_ [قولنا]:

ذكرت مرة واحدة في سورة النحل:

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. (النحل:40).

39_ [قوله]:

وردت مرتين وعلى النحو الآتي:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾. (البقرة:204).

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾. (الأنعام:73).

40_ [قولها]:

وجاء ذكرها مرة واحدة في سورة النمل:

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾. (النمل:19).

41_ [قولهم]:

وردت قولهم(12) مرة، نورد منها:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾. (البقرة:113).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾. (البقرة:118).

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. (آل عمران:147).

42_ [قولي]:

وقد وردت مرتين، وعلى النحو الآتي:

﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾. (طه:28).

﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾. (طه:94).

43_ [الأقاويل]:

وجاءت الأقاويل مرة واحدة في سورة الحاقة:

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾. (الحاقة:44).

44_ [قيلا]:

وقد وردت (3) مرات، وهي:

﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾. (النساء:122).

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾. (الواقعة:26).

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾. (المزمل:6).

45_ [قيله]:

وجاء ذكرها مرة واحدة في سورة الزخرف:

﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. (الزخرف:88).

46_ [قائل]:

ذكرت قائل (3) مرات، وهي:

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾. (يوسف:10).

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾. (الكهف:19).

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾. (الصافات:51).

47_ [قائلها]:

وردت مرة واحدة في سورة المؤمنون:

﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾. (المؤمنون:100).

48_ [القائلين]:

وقد جاء ذكرها مرة واحدة في سورة الأحزاب:

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. (الأحزاب:18).

إنَّ تعدد مستويات القول في القرآن الكريم يقودنا إلى إعادة النظر لتعريف القرآن الكريم السائد في كتب علوم القرآن... من حيث هو: "كلام الله المنزل على محمد ﷺ للإعجاز بسورة منه، المتعبد بتلاوته".

فالله ﷻ نقل لنا أقوالًا متعددة لشخصيات مختلفة على مستوى الفرد أو الجماعة، ونقل لنا أقوال الملائكة وإبليس في مواقف متعددة، وغير ذلك كثير، فكانت هذه الأقوال جزءًا من مادة القرآن التي نتعبد الله بها، ونفكر في مضامينها، ونستنتج منها العبر، لذلك فإن تعريف القرآن الكريم في ضوء هذه الأقوال هو: "كلام الله على الحقيقة، وكلامه على الحكاية، المنزل على محمد ﷺ للإعجاز بسورة منه، المتعبد بتلاوته".

الفصل الثالث: تحليل آيات "قُل" في السور المكية

شكل (1)
عدد مرات ذكر "قُل" في سور القرآن الكريم المكية

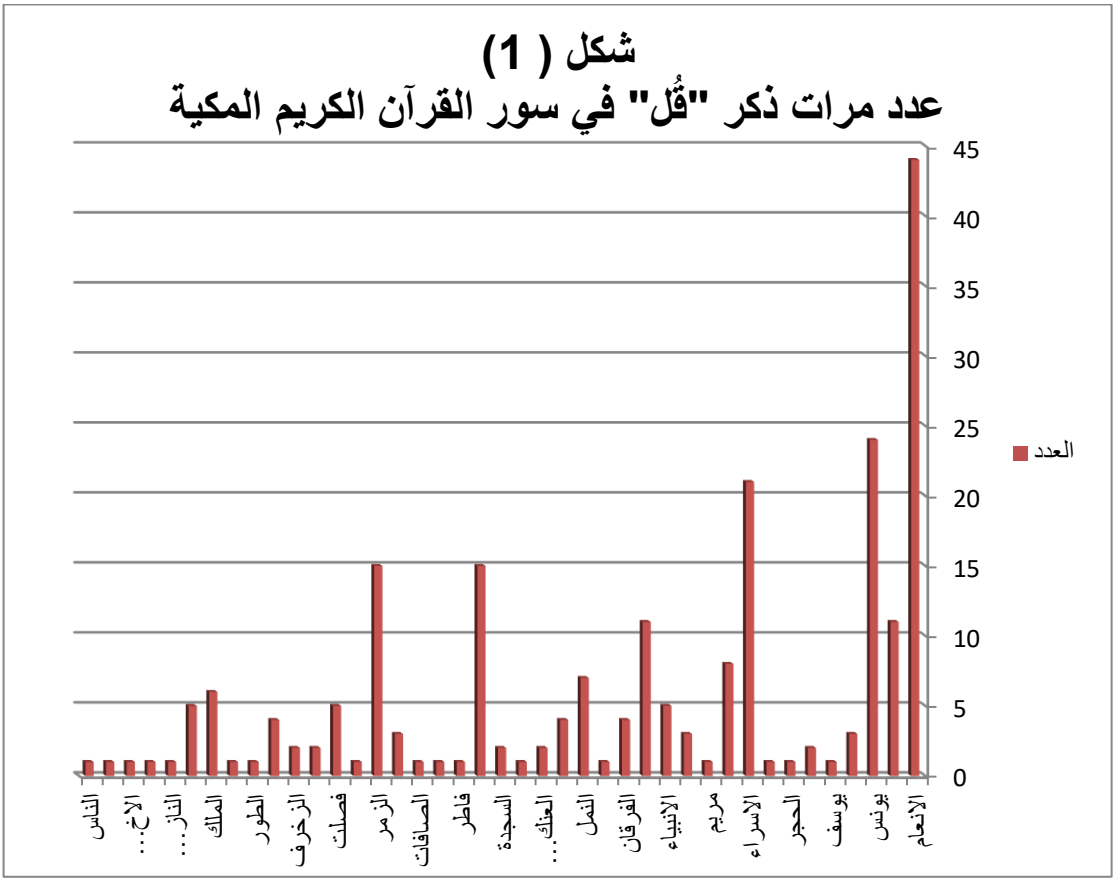

بغية الوقوف على حقيقة دلالات آيات "قُل"، سنفصل -لأغراض منهجية- بين آيات "قُل" في السور المكية وبينها في السور المدنية. ذلك أن وضع الرسالة في العصر المكي يختلف عنه في العصر المدني. وسنعتمد في ترتيب السور على الترتيب حسب التنزيل كما هو مذكور عند السيوطي.

ـ سورة الكافرون

حسمت السورة الموقف الإيماني للنبي في العلاقة مع الكافرين، فالسورة حسب ما ورد في معظم كتب التفسير؛ جاءت حسمًا لحوارات قيادات قريش الفكرية، منهم: الحارث بن قيس السهمي، والعاص بن وائل، والوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب بن أسد، وأمية بن خلف، قالوا: "يا محمد، هلمَّ فاتبع ديننا، ونتبع دينك، ونشركك في أمرنا كلِّه، تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة؛ فإن كان الذي بأيدينا خيرًا؛ كنت قد شركتنا في أمرنا، وأخذت بحظك منه، فقال: معاذ الله أن أشرك به غيره، قالوا: فاشتم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك، فقال: أنظر ما يأتي به من عند ربي، فأنزل الله ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ(1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ(2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ(4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾. .فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد ليعلن الموقف الإلهي الحاسم في العلاقة الإيمانية/العبادية مع الكافرين: (أنه لا إيمان بآلهتكم لا في الحال ولا في المستقبل).

إنَّ "قُل" في السورة جاءت دليلًا على أن النبي محمدﷺ لم يكن ليتخذ موقفًا في مثل هذه القضية الخطيرة، قضية الإيمان بالله والعلاقة مع الكافرين، ولم يكن ليقول ما يراه هو، إنما انتظر قول الله ﷻ في هذه القضية، ولسان حاله يقول: أنا مأمور باتباع أمر الله ﷻ وتبليغ رسالته، وبذلك تنكشف بعض معاني "قُل" وعلى النحو الآتي:

1ـ إن القول ليس قول(الرسول)، إنما قول (المرسِل)/الله ﷻ.

2ـ هي دليل على أنه رسول الله، وأنه مأمور من عند الله ﷻ.

3ـ "قُل" تستوجب احترام الرسولﷺ، وهي عادة تحكم العلاقات القبلية والوطنية والدولية.

4ـ "قُل" تأكيد على إيجاب تبليغ هذا القول/الوحي، إلى الناس، وهو دليل على عظمة القول، ولا نرى أن الكافرين في هذه السورة هم قوم مخصوصون، إنما هي تأسيس للتعامل مع الكافرين ما دامت السماوات والأرض؛ لأن القضية هنا هي

قضية عبادة وليست قضية معاملة، وهو ما تريده قريش بعقليتها التجارية، فلهذه أحكامها الأخرى، وفي ضوء هذا الحسم الإيماني والاختيار، يتحدّد الثواب والعقاب... لكم دينكم وما يترتب عليه من تبعات الاختيار.

تتحدّد المواجهة مع قريش والكفر بعامة ومنظومتها العقائدية وبنيتها المفاهيمية بالآتي:

1ـ معرفة الله ﷻ، وأنه غير قادر على فعل شيء بدون وجود آلهة أخرى تساعده، هي الأصنام والأوثان.

2ـ الإيمان، بأن لله ﷻ بنات من الملائكة.

3ـ الأصنام ضرورة للتقرب إلى الله ﷻ.

ولقد شخص القرآن الكريم مضامين هذه المنظومة المفاهيمية، نذكر منها:

أـ ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾. (الزمر:3).

ب .﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾. (العنكبوت:61).

ج . ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾. (العنكبوت:63).

فكان لهذه الآلهة التي يعبدون نصيب من ثروتهم الزراعية والحيوانية، ونصيب لأولادهم: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾. (الأنعام:135).. إنَّ منطق المواجهة مع الكفر يقود إلى حتمية ايقاع الأذى بشخص النبي ﷺ.

ـــ سورة الفلق

بعد ذلك الإعلان الصارم الجريء برفض اتباع دين قريش/الكفر والتخطيط للمواجهة. قدم الله ﷻ السلاح الروحي لحماية الرسول ﷺ من أذى قريش في بدء الدعوة، فأمره أن يستعيذ بالله من كل أذى وشر يتعرض له من مخلوقات الله الأخرى كما وردت في سورة الفلق:

ـــ من شر الليل وما يخفي ظلامه من غدر ورعب.

ـــ من شر النمامين الذين يقطعون أواصر المودة والحب، ويبددون شمل الألفة.

ـــ من شر الحاسدين الذين سينصبون شباك حسدهم للأذى بالرسول ﷺ، وايقاع الضرر به.

إنَّ هذه الاستعاذة، هي القوة الإلهية التي أحاطت الرسول ﷺ، في مواجهته مع الكفر في الليل والنهار، وأخلاقياته المتعددة، وهي بوابة التوكل على الله ﷻ، في مواجهة أشكال البلاء كافة، مع اعتماد الأسباب المادية في المواجهة.

ـــ سورة الناس

ومثلها سورة الناس، إذ أجاب الله ﷻ على تساؤلات الرسول ﷺ، في هذه المواجهة، بعد أن بلَّغ بالرسالة في: (اقرأ) و(المزمل) و(المدثر).

جاءت سورة الناس لتؤكد للرسول ﷺ أهمية الاستعاذة والاستعانة بالله ﷻ، فهو رب الناس، وهو ملك الناس، ومدبر أمورهم، وهو الذي يشرع لهم أحسن التشريعات التي فيها سعادتهم، وهو إله الناس، أي: معبودهم الحق. فأنت في هذه المواجهة لا تمتلك إلَّا اللجوء إلى الله ﷻ، رب الناس كلها مؤمنهم وكافرهم. وقد خصص الله ﷻ الاستعاذة هنا من(الوسوسة) التي تعمل في صدور الناس وتكرارها، لأن الرسول ﷺ، هنا في ميدان المواجهة مع الناس الذين سيستخدمون كل شرورهم في المواجهة، والقضاء على دعوته، وأخطر هذه الشرور تلك التي يغذيها شياطين الأنس والجن، في قلوب الناس، فهي مخفيه لا ترى بالعين المجردة،

غير أن آثارها في التدمير واضحة ومؤثرة. وتكمن الخطورة هنا في الإساءة إلى الدين حين تتمكن الوسوسة من التأثير في قلب الرسولﷺ أو في اتباعه عامة إلى يوم الدين. لقد كانت المعوذتان أقوى أسلحة الرسولﷺ، في الثبات ومواجهة المحن التي تضافرت حينها كل القوى المضادة لدعوته.

ـ سورة الإخلاص

لقد هيأ الله ﷻ رسوله الكريمﷺ لإعلان جوهر الرسالة الجديدة،(الأَحَدَية)، ووضع بين يديه أسلحة الوقاية من الإساءة للجسد (سورة الفلق) والإساءة للقلب والعقل (سورة الناس).

فماذا بعد أن أعلن الرسولﷺ، رفضه لدين قريش؟ سأله المشركون عن نسب رب العزة؛ فكيف الإجابة عن هذا السؤال، وحسم هذه القضية! ليس للرسول إلَّا انتظار الرسالة، فجاءت: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ(1) اللَّهُ الصَّمَدُ(2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾؛ لتؤسس لتوحيد الله ﷻ ورفض كل أشكال التثليث والتجسيم والتعددية الإلهية. ومن الجدير بالذكر أن في سورة الإخلاص ظهر لأول مرة اسم الله ﷻ.

ـــ سورة (ص)

مرت النبوة هنا ردحًا من الزمن، تطرح على جماهير الأديان المختلفة قضايا الإيمان، وتاريخ النبوات، وعلاقة الرسول ﷺ بالسماء، وكيف تلقى الوحي، والتأكيد على أنه مرسل من الله ﷻ بهذا القرآن المعجز، فابتدأ العلم الإلهي ينهمر على قلب الرسول ﷺ وينمو وعيه عبر تراكم أحداث المواجهة، وتحديد المواقف الإلهية منها. في سورة (ص)، استعراض لمشهد من مشاهد القيامة، يبين الله ﷻ طبيعة العلاقة بين الاتباع والمتبوعين، ويعين استحقاق الناس كافة يوم القيامة. استحقاق المتقين: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ(49) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ(50) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ(51) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾. (ص:49ـــ52). ويبين استحقاق الطاغين شر مآب: ﴿هَذَا وَإِنَّ

لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآَبٍ(55) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ(56) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ(57) وَآَخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ(58) هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾. (ص:55ـــ59).

يعرض القرآن الكريم في مشهد من مشاهد القيامة، حقيقة ما سيكون عليه الطغاة واتباعهم محذرًا من هذه النهاية الخطيرة، قال تعالى: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ(59) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ(60) قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾. (ص:59ـــ61).

يؤكد القرآن الكريم على حقيقة التخاصم بين الطغاة واتباعهم حين يرون الأمر (عين اليقين).

وبالتأكيد فإن دهشة الرسولﷺ عظيمة جدًّا أمام هذا المشهد المرعب لحقيقة الموقف يوم القيامة، فماذا سيقول الرسول لهؤلاء؟ وهو لا يملك من الأمر شيئًا... بماذا يعدهم؟ فيأتي الجواب الإلهي من عالم الغيب والشهادة، قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾. وقل لهم كذلك، إن هذا الذي أبلّغكم به وأتلوه عليكم ليس من عندي، فأنا لا أملك من علم بالملأ الأعلى، إذ يختصمون، إن هو إلّا وحي يوحى إلي وأنذركم به، قال تعالى:﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ(67) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ(68) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ(69) إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾. (ص:65ـــ70)، والنبأ العظيم هو(القرآن الكريم) الذي هو علم الله وحقائق الملأ الأعلى، وحقيقة البعث.

يؤكد القرآن الكريم صدق الرسول ﷺ، فيبين لهم قصة خلق البشر من طين، والأحداث التي رافقت عملية الخلق، وعصيان إبليس لربه في السجود لآدم، وما ينتظر إبليس واتباعه من عذاب، وغيرها من حقائق الغيب ما كان للرسولﷺ أن يعلمها من غير الوحي الذي أرسله الله ﷻ به، لينذر القوم عذاب يوم عظيم. لينتهي التبليغ للرسول بأن يقول لهم: "إن الله يقول لكم: إني لا أسألكم على هذه الدعوة للإيمان من أجر، وما أنا من المتكلفين، إنما رسالتي هي تبليغ رسالة الله

إليكم، ولكم الخيار": ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ(86) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ(87) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾. (ص:86ـــ88).

ـــ سورة الأعراف

تأتي "قُل" في سورة الأعراف في سياقات عدة، تتناول قضايا مفاهيميّة وأخلاقيّة وتشريعيّة، ذلك أن سورة الأعراف تمثل مرحلة انتقال جديدة في مواجهة قريش والرافضين لرسالة الله ﷻ، فعلى مستوى المفاهيم، لأول مرة يأتي ذكر(الكتاب): ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. (الأعراف:2).

لقد علم الله ﷻ ما سيحدثه هذا التحول في حياة الرسولﷺ فيطمئنه بأن لا يضيق صدره حرجًا من هذا التحول الذي ستبدأ معه وظيفة نبوية جديدة ألا وهي الإنذار، والتبليغ عن الحرام والحلال، والتأكيد على التقوى والإصلاح، وموضوعات أخر، مثل:

نقض مفهوم الفاحشة ـــــ وهي منظومة قيمية كانت العرب تعيشها بوعي وإصرار، ترتبط بالعُري، وهو فعل الشيطان الذي أغوى آدم وزوجه وأخرجهما من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما، إن الاستجابة لهذا الفعل يدخل في ولاية الشيطان وأوليائه.

لقد أراد الله ﷻ لهذه القضية أن تدخل في صميم الدين، فلم يترك للرسولﷺ الإجابة عليها، وتحديد الموقف منها، بل أمره أن يقول: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. وكذلك أمره الله ﷻ أن يقول: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾. (الأعراف:29).

وفي هذه السورة بدأت بوادر رفض منهج التقليد، واتباع مناهج الآباء الفاسدة.

لقد نقضت هذه الآية المنظومة المفاهيمية والأخلاقية والتشريعية التي كان عليها العرب، من خلال ترسيخ المنظومة القيمية الجديدة:

1ـ إن الله ﷻ يأمر بالقسط.

2ـ إقامة الوجه عند كل مسجد.

3ـ الإخلاص في الدين.

إن الالتزام بهذه المنظومة القرآنية تعيدكم إلى عهدكم الأول الفطرة والبراءة، وتواصل السورة تعزيز المنظومة المفاهيميّة والأخلاقيّة والتشريعيّة الجديدة في هذا الإطار، فتؤكد على التمسك بالزينة عند كل مسجد، وبذلك صار أخذ الزينة وإقامة الوجه عند كلِّ مسجد، وجهان لمفهوم الجمال بشكليه: الروحي(الإخلاص)، والمادي(الزينة).

وكذلك الاعتناء بقيم الاستهلاك، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾. فجاءت رسالة الله ﷻ تقول للرسول ﷺ، في هذا السياق: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. هكذا يفصل الله ﷻ آياته... فبأي حديث بعد حديثه نؤمن أو نحتاج.

ينتهي الأمر هنا في سورة الأعراف إلى صياغة المنظومة القرآنية لتحديد الموقف النهائي من الفواحش فيقول الله ﷻ لرسول ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

تنتقل السورة عبر "قُل" إلى الصفة العالمية للرسالة والرسول، فهو لا يخاطب قومًا معينين، ولا دينًا معينًا، إنما هو مرسل للناس جميعًا، اتسعت دائرة المواجهة لتكون عالمية، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾. والناس هم البشر جميعًا بغض النظر عن الدين واللون واللغة. بالتأكيد سيشك بعض الناس في هذا النداء... وسيطلبون الدليل، ولهذا أردف الله ﷻ بعد هذا النداء:﴿الَّذِي

لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾. في هذه المسألة كل المخاطبين يعرفون هذه الحقيقة:

1ـ إنَّ الله مالك الأرض والسموات.

2ـــ أنَّه يحيي ويميت.

وهذا ما أثبتته الحوارات مع القوى الفكرية السائدة في مكة يومذاك، كفار قريش وأهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس.

عند ثبوت الدليل، فلا بد من الإيمان بالرسول الذي صفاته نبيٌّ أمي... في إطار المعرفة والعلم، وهذه حقيقة يعرفها اليهود والنصارى؛ لأنها مثبتة في كتبهم.

والنبي يؤمن بالله وبكلماته، لذلك ليس في اتباعه ضرر، إنما لتصحيح مسيرة الناس الذين تجاوزوا على ينابيع الدين الصافي باجتهاداتهم وتصوراتهم البشرية المحدودة أحيانًا والمنحرفة عن الحق أحيانًا أخرى.

تتوسع دائرة إثبات صحة دعوى الرسول ﷺ، بالدعوة إلى النظر/إعمال العقل في ملكوت السموات والأرض، ومظاهر الوجود الأخرى وحقائقه الباطنة؛ لتكون دليلًا على أنها مخلوقة لله ﷻ. وعليه سارعوا إلى الإيمان بالله، حذر أنه يأتيكم الموت وأنتم على حالكم هذه من الكفر والعناد: ﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾. فإذا لم تؤمنوا بهذا القرآن الذي آتاكم بالأدلة القاطعة على صحته وصحة دعوى الرسول؛ فبأي حديث بعده تؤمنون؟!

وتستمر المواجهة الفكرية مع الرسولﷺ من قبل قريش، وأهل الكتاب/اليهود خاصة، في هذه المواجهة يدخلون معه في حوار عن الساعة/يوم القيامة/البعث، فيسألون الرسول عن الساعة، وفي الأمر تحّدٍ خطيرٌ، لأنَّ هذه المسألة من قضايا الدين الحاسمة والخطيرة، فيقف الرسولﷺ منتظرًا جواب ربه، فهو لا يملك الصلاحية في تعيين مفهوم دينيٍّ ليوم الساعة، فيأتي الجواب ليقول لهم، يقول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. (الأعراف:187).

وحتى في الدفاع عن نفسهﷺ، فإنه ينتظر الجواب من الله ﷻ. بماذا يسوّغ هذا الصمت؟! فيأمره الله ﷻ بأن يقول: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(188) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾. تكشف هذه الآيات عن وظيفة الرسولﷺ:

1ـ الإنذار:(نذير).

2ـ التبشير:(بشير).

ينذر بالقرآن، ويبشّر بالقرآن؛ لأن الأمر للهﷻ فهو الذي:

1ـ خلقكم من نفس واحدة: وقد أكد ذلك في أكثر من آية في السورة نفسها، وفي غيرها.

2ـ وجعل من هذه النفس زوجها، وفي هذه إشارة إلى وحدة الخلق. ورفض الأسطورة التوراتية التي تقول بخلق المرأة من ضلع آدم.

3ـ بيان الخلل الإيماني في العلاقة مع الله ﷻ، وبيان أحد أسباب الشرك، فكثير من الناس يحلمون بالولد الصالح سليم البنية، ويربطون شكرهم لله بمجيء الولد. وعند مجيئه يجعلون لله شركاء، وينسون عهدهم مع الله.

4ـ اختيار شركاء لله جهل مبين، فمهما كان الشركاء فهم لا يخلقون، كما يخلق الله ﷻ، ولا يملكون القدرة على الخلق فهي قدرة الله وحده، والشركاء عجَزة لا يستطيعون نصرهم، ولا حتى أنفسهم.

5ـ وبسبب هذا العماء، لا يستجيبون لدعوة الهدى، حتى وإن كان الدعاة صادقين.

ليس للشيطان حظ في هذه القصة كما وردت في كتب المفسرين.

يستنكر الله ﷻ، عمل المشركين في عبادتهم أندادًا وأصنامًا مع الله ﷻ، وهي مخلوقة، لا تملك لنفسها، ولا لمن يعبدونها، نفعًا ولا ضرًّا، يصنعها عابدوها، ولا تستطيع هي خلق شيء، لذلك ينبغي على ذوي العقول السليمة، ألّا يجعلوا المخلوق

العاجز شريكًا لله الخالق القادر القاهر؛ لأن هذه الأصنام المعبودة وأمثالها لا تستطيع نصر من يعبدونها، مثلما لا تستطيع نصر نفسها إذا أعتدى عليها أحد، أو أخذ منها شيئًا، ولا تسمع دعاء الداعين وحريّ بألّا تفهمه ولا تعقله. يتحداهم الله ﷻ بأن يستجيبوا لدعاء عابديهم إن كانوا صادقين، إن عجز الأصنام هو الدليل على ضلال تابعيهم، والأصنام ليست حجارة فقط. إنما هي منظومة عقدية.

لذلك "قُل" يا محمد لأتباع الأصنام، أُدعوا شركاءكم، ثم كيدوني بكل قدراتكم ولا تمهلوني ساعة. في هذا الـ "قُل" أعلى أشكال التحدي في مواجهة بين منطق الله ﷻ، ومنطق الشرك.

بدا واضحًا تبلور المعسكرين، معسكر الإيمان والتقوى، ومعسكر الشرك والكفر، والسجال قائم، والرسول ﷺ، لا يكفّ عن مواجهة معسكر الشرك والكفر بسلاح القرآن الكريم، الذي لا يملك إلّا اتباعه.

بدأت التقوى تفعل فعلها في عقول المؤمنين، اتباع الرسول وقلوبهم، وفي ضوء هذه التقوى تتحدد ردود الأفعال في المعركة مع الشيطان الذي يمارس إستراتيجيته الدائمة في إحباط المؤمنين.

يشخّص القرآن الكريم سلوك المتقين إزاء المواجهة مع الشيطان: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾. في لحظة هجوم الشيطان على نفوس المتقين لزحزحتهم عن الحق، تضيء داخلهم البصيرة القرآنية ستار صدٍّ تحبط عمل الشيطان. في جهة الأخرى يمدّ الشيطان أتباعه في الغيّ، ولا يقصرون في الأمداد والمساعدة.

ـــ سورة الجن

سبقت سورة الجن، سورتان تتناولان أخطر قضية واجهت الرسول والرسالة، وهي العلاقة مع الجن، إذ بعد إعلان الرسول رسالته وبدء الدعوة الى وحدانية الله ﷻ، بدأت قريش وحلفاءها تنشرون بأنَّ محمداً يأخذ من الجن هذا الكلام الغريب، في إطار نظرية الشعر الجاهلي التي تقول: إن الشعراء يأخذون شعرهم من الجن، فجاءت سورة التكوير لتنفي هذا الادعاء: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾.

اكتسحت هذه السورة الوعي القرشيّ يومذاك وأسقطت رؤيته للجن، وعزّزت الأمر سورة (النجم) التي حكت كيفية تلقّي الوحي وأين تلقّاه: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾.

جاءت سورة الجن الآن لتعلن حقيقة أذهلت قريش وحلفاءها اليهود خاصة يومذاك. إذ إنَّ الجن قد استمعت لهذا القرآن الذي يتلوه عليكم محمد والذي أذهلتكم روعته، وعظيم محتواه ونظمه، الأمر الذي يعني أن هذه الرسالة وهذا النبأ العظيم لم يعد مقتصراً على الأرض، إنما شمل الكون كله. ومن الجدير بالذكر أن السورة توضح حقيقة غفل عنها المفسرون وهي أن النبي ﷺ لم يكن يعلم أن هناك من يسمعه غير البشر.

لقد هدمت سورة الجن تصورات العرب وغيرها من الأمم الأخرى وأديانها، في الجن وعنه، فقد كانوا يتصورونها قوى تعلم الغيب وتتحكم في مصائر البشر، وهدمت نظرية الذين لا يؤمنون بوجوده، إنهم إحدى القوى التي أودعها الله ﷻ في طيات الكون.

إن الجهل بحقيقة الجن، والعجز عن تفسير الكثير من الظواهر الكونية يومذاك، جعل من هذه القوى، قوى قاهرة تفعل ما تشاء، فابتدأت الأساطير تفسر وجودها وأفعالها، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، نظرية الشعر العربية قبل الإسلام. التي مفادها أن الشعراء يتلقون أشعارهم من الجن في وادي عبقر، وبعد ظهور الإسلام، شكلت أحد عناصر العقائد السائدة مثل المعتزلة والأشعرية الذين اختلفوا في تفسير الجن، وبيان حقيقته لينتقل الأمر إلى التفسير والأحاديث التي ينتصر بها كل فريق لرأيه.

لقد وقفت قريش والعالم يومذاك أمام هذه الحقائق المذهلة، مذهولة مندهشة، والرسول يتلو عليهم، موقف الجن من الرسالة الجديدة، يحفز عقولهم ويستفزها للتفكير في الأمر وأهميته القصوى، في الوقت الذي كان الاتهام وتفسير الظاهرة القرآنية يومذاك على أنها معطى من معطيات الجن:﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا(1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا(2) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا(3) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى

اللَّهِ شَطَطًا(4) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾. إنه الإعلان من كون آخر، وقوى أخرى على صدق هذا القرآن، وصدق هذه الرسالة. أمام الحقائق التي تطرحها سورة الجن في مواجهة العالم يومذاك، وللإجابة على اعتراضات قريش والرافضين للرسالة، لا يقدّم الرسول إجابة من عنده إنما يأتيه الجواب من الله يقول للرسول ﷺ، بعد كل هذه الحقائق التي عرضها على العالم:

1. ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾. (الجن:20).
2. ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾. (الجن:21).
3. ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾. (الجن:22).
4. ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (الجن:23).
5. ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا(25) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا(26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا(27) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾. (الجن:25-28).

ـــ سوة يس

في سورة (يس) تدخل المواجهة مع معسكر الكفر في قضية الخلق والبعث، فتستعرض السورة مشهدًا لناكري البعث وإعادة الخلق، ومشهد حزن الرسول ﷺعلى العماء الفكري الذي أصاب القوم أمام الأدلة الناصعة على خلق الله للعالم بعناصره كافة.

لا تحزن يا محمد من هذه الأقوال فهنالك من جاء بإفك أكبر: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ(77) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾. (يس:77ـــ78).

ولأن القضية هنا قضية دين، وليست رأيًا شخصيًّا ليجيب الرسولﷺ فانتظر الإجابة الربانية، (قُل) لهم يا محمد: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾. (يس:79).

ـــ سورة الفرقان

في آيات الفرقان مواجهة مع معسكر الكفر في (حقيقة القرآن) الذي زلزل الأرض تحت أقدامهم، فابتدأت الحملة لتشويهه وإسقاطه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آَخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا(4) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾. (الفرقان:4ـــ5).

هذه محنة أخرى من محن الرسول ﷺ في مواجهة الحملة ضد القرآن الكريم، ولا تكفي حجج النبي محمدﷺ هنا، للردع والاقناع، فجاءت رسالة الله ﷻ تقول له في هذه المواجهة: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. (الفرقان:6).

بعد إسقاط أدلتهم الباطلة، وإقامة الحجّة عليهم، يواصل الله ﷻ دعوتهم إلى الهدى، من خلال تخويفهم من المصير في جهنم: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (12) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (13) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾. بعد هذا الوصف المرعب، يأتي التخيير الإلهيّ على لسان الرسول ﷺ: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا(15)لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾. ويؤكد القرآن الكريم في خضم هذه المواجهة على وظيفة الرسول، وهي التبشير والإنذار: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾. لذلك يقول الله ﷻ للرسول: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾. أي: إن أجري هو حسن إيمانكم. وفي هذه المواجهة توكل على الله الحي الذي لا يموت: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾.

وتنتهي السورة بإقرار حقيقة طبيعة الصلة بالله تعالى التي تمثّل مناط الرعاية الإلهية. سواء أكانت سلبية أم ايجابية، لأن الله ﷻ يرعى البشر كافة: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾. ولكن سيتحدد الموقف في ضوء الاستجابة والرفض، فالذين استجابوا لهم الجنة، وهم:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾.

﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾.

﴿وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ لا يشهدون الزور﴾.

﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾.

﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا﴾.

﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾.

﴿واجعلنا للمتقين إماما﴾.

_ وأما الذين كذبوا الدعوة فسينالهم عذاب أليم.

ـــ سورة فاطر

هنا موقف آخر في المواجهة العقدية مع الكفر، فالله تعالى يبيّن أنه قد خلق البشر خلائف في الأرض، خلفاء، يخلف جيل منكم جيلًا آخر، وينتفع في الأرض ويتصرف بما فيها، واختلفت هذه الخلائق في الموقف من الله ﷻ، فمنهم من شكر الله، فزاده الله خيرًا وشكره له، ومن كفر فكفره عليه، ولا يزيد الكفر اتباعه عند ربهم إلّا مقتا، ولا يزيدهم إلّا خسارًا.

في حسم هذه القضية يقول الله تعالى لرسوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾. ويتركز التحدي هنا على القضايا الآتية:

1ـ هل خلق هؤلاء الذين تعبدون من دون الله شيئًا من السماوات والأرض؟

2ـ هل لهم شركاء...؟

3ـ هل أنزلنا عليكم كتابًا نوضح فيه حججكم في عبادة الأصنام؟

ولما عجزوا عن الإتيان بالدليل، أكد الله ﷻ حقيقة وعودهم لبعضهم ﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾. خداع وكذب وباطل.

ـــــ سورة مريم

يقدم الله ﷻ للناس كافة مظاهر التوحيد، ربوبيته في خلق السموات والأرض وما بينهما، ويعرض مواقف منكري البعث، ويقسم الله ﷻ إنه ليحشر الشياطين ومنكري البعث ويحضرهم حول جهنم جثيًا: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا(68) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾، وهم قيادات الشيع المنكرة للبعث، فالله أعلم بالذين هم أولى من غيرهم بدخول جهنم، وسيردها الجميع، ﴿ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جِثِيًّا﴾.

عندما يتلو الرسول آيات الله على الناس، يقول الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقامًا وأحسن نديًّا: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾. يتصور الكافرون أن عزهم وأموالهم تعصمهم من غضب الله؛ فيواجههم الله بحقيقة هلاك من هم قبلهم وكانوا أحسن منكم أثاثًا ورئيًا: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾.

ويحسم الأمر بالقول للرسول: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا(75) وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾. (مريم:75ــ76).

ــ سورة طه

ولأنَّ أمر مواجهة المكذبين ومآلهم فيه كثير من الغيب، إذ إن تحديد مصير المكذبين هو شأن إلهي، فقد حسم الله ﷻ الأمر للنبيﷺ بأن يقول لهؤلاء المكذبيّن الذين يتربّصون بالرسول الموت أو الهلاك والأذى: ﴿قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾. (طه:135)، الكل ينتظر عاقبة الأمر ومآبه، وعند لحظة اليقين سينكشف الأمر عن حقيقة انغمار المؤمنين في ضوء التوحيد، وانغمار المشركين في ظلام الشرك.

ــ سورة الواقعة

ويواصل المشركون إنكار البعث، يستنكرون أن يُبعثوا هم وآباؤهم بعد أن أصبحوا ترابًا وعظامًا، ويستمر الحسم الإلهي لهذا الانكار بتوجيه الرسول باعتماد علم الله في هذه القضية، فيقول الله ﷻ للرسول: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ(49) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾. (الواقعة:49ــ50). لستم أنتم وآباؤكم فقط من سيبعث، إنما الذين سيموتون بعدكم من نسلكم كذلك.

وعي المشركين في هذه القضية وعي حسي/معرفة حسية، تعتمد العالم المادي المشاهد أداة في المعرفة، يشير القرآن الكريم بأنَّ الأمر أكبر من معرفتكم الحسية، إنما هي المعرفة العقلية المنطقية، فإذا عرفتم حقائق الخلق وكيف بدأ. وآمنتم بأن لهذه المخلوقات خالقًا، فإن عملية إعادة الخلق منطقية جدًّا.

ـــ سورة النمل

تواصل السورة خطاب العقل القرشي، وتستنهضه للإيمان بالرسالة، من خلال استعراض حال الأقوام السابقة، والتأكيد على ألوهية القرآن الكريم، والمقارنة بين عبادة الأصنام وعبادة الله تعالى، غير أن استجابة قريش سلبية جدًّا، والرسول يعتصره الحزن على قومه الذين لا يفقهون، والله ﷻ يواسي الرسولﷺ: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾. (النمل:70).

وكذلك استعرض الله ﷻ قصة قوم لوط وانحرافهم الأخلاقي، وشذوذهم الجنسي، وطغيانهم في ذلك وجهلهم، فكان الموقف من قوم لوط الرفض المطلق واتهامه بالطهر، إذ كان الطهر في مجتمع الشذوذ عيبًا أخلاقيًّا، فأنجى الله ﷻ لوطًا وأهله إلّا أمرأته، وأمطر عليهم فساء مطر المنذرين: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آَلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ(56) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ(57) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾. (النمل:56ـــ58). ولكن لا يُترك الرسول وحده في مواجهة القوم، فكان الله تعالى يمده بحكمته وعلمه، فيقول للرسولﷺ في هذه المواجهة: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آَللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. (النمل:59).

هنا المخاطبة المنطقية لقريش ومن مثلها، لقد رأيتم آيات الله ﷻ، آالله خير أم أصنامكم؟! من الأفضل الذي خلق السماوات والأرض، وأنزل من السماء ماءً، وأنبت به الحدائق ذات البهجة أم آلهتكم!

- تقوم هذه المخاطبة على أربعة مرتكزات قرآنية منطقية، هي:

* المرتكز الأول:

- ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾. (النمل:60).

* المرتكز الثاني:

-﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾.

-﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا﴾.

-﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾.

-﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾.

*المرتكز الثالث:

-﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾.

-﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾.

-﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾.

- هل هناك إله غير الله يقوم بهذا.

*المرتكز الرابع:

-﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾.

-﴿وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾.

-﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

بعد استعراض هذه الأدلة على قدرة الله ﷻ، ومحاججة المشركين، بعد كل هذه الأدلة في إسقاط حجج الشرك، وإنكار البعث، يقول الله تعالى للرسول ﷺ في هذه المواجهة: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾. (النمل:64). وعندما يواصل المشركون إنكارهم وجحودهم يواجههم الله ﷻ بحقائق حسية يؤمنون بها، فيقول للرسول ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾. (النمل:69). وهي حقيقة لا يستطيعون إنكارها، لأنهم يعلمون ما حل بقوم لوط وعاد وثمود ومدين. ولا تحزن عليهم، ولا تكن في ضيق من مكرهم، لأن الله ﷻ ناصرك، وسيظلون مصريّن على شركهم وإنكارهم البعث، فقل لهم: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾. (النمل:72). أي: اقترب العذاب الذي تستعجلون مجيئه وأنتم له منكرون. وتنتهي

السورة بالحقيقة الإيمانية التي تؤكد على أن الأمر مرهون بالاختيار الإنساني: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾. (النمل:92).

ـــ سورة القصص

في سورة القصص، مواجهة مع اليهود في نكران القرآن الكريم، فيقدم الأدلة العقلية على أن القرآن وحي الله تعالى بدليل حقائقه التي لا يمكن أن يعلمها الرسولﷺ في إطار عصره، مثل لقاء موسى بربه في الجانب الغربي من الطور؛ إذ قضى الله لموسى أمر النبوة والشريعة، ولم يكن ثاويًا في أهل مدين يتلو عليهم الآيات: ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾. (القصص:45). كل هذه الأدلة وغيرها هي مظهر من مظاهر رحمة الله ﷻ؛ لتكون أكثر إقناعًا في الدعوة لقبول الرسالة الجديدة.

ولكي تقوم عليهم الحجة فلا يتمكنوا من الاحتجاج بعدم إرسال رسول يبين لنا الأمر، فلما جاءهم الحق من عند الله. ازداد حججاهم ونكراهم: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾. فكيف تسقط هذه الحجج؟ يقول الله ﷻ للرسولﷺ في هذه القضية: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(49) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. ويتواصل الحجاج في الله وقدرته، فهو القادر على خلق كل شيء ويختار، ويعلم ما تكنّ الصدور وما تعلن، وهو الله لا إله إلّا هو له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون.

أمام هذه الحقائق عن قدرة الله ﷻ يقدم الله ﷻ لرسولهﷺ في هذا الحجاج العنيد حججًا دامغة تسقط منطقهم: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ(71) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾. وفي سياق إرجاع العلم إلى الله ﷻ فيما يتعلق بشأن الإيمان والهدى يقول الله ﷻ لرسوله الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾. والمعاد هنا هو يوم القيامة نصرًا على كل مظاهر الشرك والكفر، ليكون القرآن الكريم مرجعًا أوحدَ في صياغة أخلاق الإسلام وأحكامه وعلمه.

ـــ سورة الإسراء

في سورة الإسراء مواجهة كبرى في قضية القرآن، وحقائقه الكونية، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾. والتصريف هنا تصريف: معرفيّ، وبلاغيّ، وتاريخيّ، وكونيّ متعدد الأبعاد؛ إذ تنتقل آيات القرآن في إثبات حقيقته الإلهية من مجال إلى آخر، كي تزداد الأدلة بين يدي الجاحدين ليذّكروا، أي ليمارسوا التفكر والتدبر لهذه الحقائق، غير أن جحودهم وعنادهم يمنعهم من الاعتراف بالحق والأخذ به، وما يزيدهم إلا نفورًا.

ولمواجهة عنت منظومة الكفر والرفض من قريش وحلفائها من اليهود، يوجه الله تعالى النبيﷺ بأن يحاجج في موضوعة تعدد الآلهة، وبطلان منطقها؛ فيأمره بالقول: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾. في هذا السياق، يشير قول الله ﷻ إلى حقيقة أنه لو كان هناك آلهة أخرى، فهذا سيقود، حتمًا، إلى أن يصلوا إلى ذي العرش، يعترضون على قراراته. وهذا ما لم يحدث ولن يحدث، سبحان الله عما يقولون علوًّا كبيرًا: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

هنا المواجهة في إطار الأدلة على صحة منظوماتهم الفكرية وقناعاتهم الإيمانية أو عدمها، فهم رافضون لفكرة البعث، يقولون: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾. فيضع الله تعالى بين يدي الرسول محمدﷺ، أداة التحدي: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا(50) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ

يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾. وتبقى القضية القرآنية أحد أكبر قضايا تحدي نبوة الرسول محمدﷺ. فالقرآن كان يهز كيان قريش وقياداتها الفكرية والاجتماعية والسياسية، ولم يكن يستطيعوا الرد أو إبطال هذا القرآن إلا بأن يخاطبوا جمهورهم بأن هذا الذي تستمعون إليه هو قول ساحر، هذا ما تستطيع نجواهم ومؤثراتهم أن يقدموه للناس ليصدوهم عن القرآن الكريم.

ولذلك كان الله ﷻ يحمي الرسولﷺ حين يقرأ القرآن على القوم، يُسمعهم آيات الله وحقائقه: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾. والحجاب المستور هنا هو عدم قدرة قيادات قريش على رؤية الرسول وهم يُصرّون على أذيته، وليس كما ذهب بعض المفسرين مثل الرازي، من أن الله تعالى يمنع رجالات قريش عن سماع القرآن بحيث لا يقفون على أسراره، ولا يفهمون دقائقه، فإذا كان الأمر كذلك فعلام الرسالة؟!

يصر الكافرون والمشركون على نكران البعث يوم القيامة. وحجتهم أن إمكانية الخلق من جديد مستحيلة، فهم يستعظمون أن يعودوا من جديد بعد أن تحولت أجسادهم الى عظام ورفات، فيأتي الرد من الله ﷻ، قل لهم يا محمد، حتى لو صرتم حجارة أو حديدًا أو أي مادة صلبة أخرى غير قابلة للحياة، فسيعيدكم الله ﷻ القدير، وهم في عنادهم يقولون ومن يعيدنا إلى الحياة إذا كنا كذلك، فيأتي الرد الإلهي: ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾. ويؤكد الله ﷻ على النبيﷺ أن يقول للناس كافة، أن يقولوا التي هي أحسن لأن الشيطان ينزغ بينهم، وفي هذا دليل واضح على ضرورة استخدام المنطق العقلاني في إدارة شؤون الفكر والإيمان، وعلى المؤمنين أن يستخدموا حجج القرآن الكريم وأدلته العقلية في المواجهة. وبالتالي فإن الله ﷻ يريد أن ينتصر الإنسان على الشيطان، حتى ولو كان كافرًا بأن لا يدع مجالًا للفتنة، وألّا يكون جزءًا منها؛ لأن الله ﷻ أعلم بمن في السموات والأرض. وليس كل من في السماوات والأرض كافرين،

ولا كلهم مؤمنين، والله تعالى قادر على رحمة هؤلاء أو عذابهم حين يفتقر الجميع إلى منطق العقل والقول الأحسن.

في ضوء هذا التوجيه الإلهي، يتابع الرسول دعوته، ويطرح على الكافرين والمشركين الحجج والبراهين الإلهية، فيعلمه كيف يواجههم بتحديات متعددة ومتنوعة، هنا يقول لهم: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾. ويرجون رحمته ويخافون عذابه، لأن عذاب الله محذور يخافه المؤمنون: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾.

بعد هذا يستعرض القرآن الكريم حال القرى الأولى مع أنبيائها، زيادة في الأدلة على الحق، فيجيب على تساؤلات القوم عن عدم إرسال الآيات كما كان الأمر مع هود وغيره من الأنبياء.

ويذكر بالرؤيا التي رآها الرسول ليلة أوحى إليه الله تعالى بالقرآن الواردة في سورتي: النجم والتكوير، التي أذهلت الناس يومها. ويذكر بآيات الخلق الأولى والتحذير من الشيطان الذي سيناصب الإنسان العداء، ويكيد له، ويذكر كذلك تكريم الإنسان. ويذكر بالبحر وحركة الفلك فيه، وما يحتويه من مواد هي من فضل الله ورحمته، ويستعرض مواقف البشر في البحر ومخاطره وكيف يتصرف في سرائه وضرائه.

ويبين قيمة بني آدم، وكيف حملهم في البر والبحر وفضلهم الله على كثير من خلقه، ويؤكد للعالم، أن دعوة الله للناس ستكون بإمامهم، وهنا إشارة مهمة جدًّا للتبعية، سيدعى المتبوعون ومعهم تابعوهم لمشهد رهيب المواجهة بين الاثنين وتحديد المسؤولية عن الضياع... والآية توجه إلى ضرورة اختيار المتبوع، بحيث يحقق المسرة في الآخرة قبل الدنيا، وهم الذين يؤتون كتابهم بيمينهم ولا يظلمون فتيلًا.

ويطرح قضية مهمة، هي محاولات قريش فتنة الرسول عن القرآن، أي محاولات صرفه عن القرآن الكريم، والاتيان بغيره شرطًا للاستجابة وتوحي الآية بأنَّ

الرسول أوشك في تفكيره الخاص أن يستجيب لهم متصوّرًا أن في ذلك مصلحة للإسلام، غير أن الله تعالى رفض هذا التفكير النبوي، وثبت النبي على أرض الوحي، ورفضه لأي محاولة من قبله لتجاوز الوحي الذي يبدو أن النبي أوشك أن يميل إلى مطلب قريش، والويل للنبي عندها لو وافق، إذن لأذاقه الله ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات، ثم لا يجد له على الله نصيرًا، ولنتذكر خطورة الموقف في هذه المرحلة وهي المرحلة المكية وبدايات تنزيل القرآن الكريم وتأسيس الدعوة من للرسول لو تحقق لقريش ما أرادوا؟

وتستعرض السورة كذلك موقف الكفار واليهود حين تآمروا على إخراج النبي من مكة، وأيضًا كاد الرسول أن يفعل لولا أن ثبته الله حماية لمكة من غضبه فيما لو غادرها بطلب من قريش واليهود.

وتؤكد السورة على أن ما واجهه الرسول من محن، هي سُنة الله في أنبيائه، فقد واجهوا محاولات قومهم بإخراجهم وقتلهم والسخرية منهم، وغير أن رعاية الله لرسالاته كانت بالمرصاد لأعدائه.

وبغية إعادة صياغة شخصية الرسولﷺ بعد الذي تعرض له من محاولات قريش واليهود، يأمره الله ﷻ، بإقامة الصلاة في الأوقات المذكورة: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾. ويأمره بالتهجد في الليل ليظل على صلة بالله تعالى والقرآن، وأن يدعو بما علمه الله: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾. ليكن أمري أوله وآخره بيدك، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأعطني القوة لحمل مهمات الرسالة.

وقل يا محمد جاء الحق بالقرآن، وهو الإسلام، وزهق الباطل، وهو الشرك، إن الشرك هالك لا محالة. وعلم الناس أن الله ينزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين، ولا يزيد المشركين إلا خسارة برفضهم هذا الكتاب وللحق الذي فيه.

وتعود السورة تعرض قضية الحرية الدينية من خلال الموقف من نعم الله التي تغير كثيرًا من واقع البشر، مؤمنين كانوا أم كافرين، فحين تزداد النعم ينأى كثير

من البشر عن عقوق الله ﷻ، تكبرًا وبطرًا وتعظيمًا، وإذا ما مسَّ الشر صاحبه اليأس والقنوط ونسي عناية الله، كل يعمل على شاكلته وعلى مذهبه في الحياة ومنهجه وسلوكه، الله أعلم بمن هو أهدى سبيلًا، أي يعلم المصيب منه والمخطئ.

وفي هذه المواجهة الكبرى التي يقف القرآن الكريم صوت التحدي الأكبر فيها، يتعرض الرسول لتحديات شتى في محاولات متعددة لإخراجه وثنيه عن التبليغ، وكان جهد اليهود واضحًا في هذا التحدي من خلال اسئلتهم، سألوه عن الروح: فيأتي جواب الله تعالى: ﴿الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. فعن أي روح يسألونه؟ فكانت الإجابة الربانية: إن هذا الروح هو الذي يأتيك بالقرآن، إنه الروح الأمين الذي بلّغ الرسل رسالات الله تعالى، والدليل هو الآية اللاحقة: ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾.

وزيادة في الدليل على الوحي الإلهي يُعلم الله ﷻ الرسولﷺ أن يقول: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾. وهذا تحدٍّ ذو بعدين، الأول هو أن يأتي الرسولﷺ بمثله من خلال قول الله ﷻ آنف الذكر: ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾. والبعد الثاني تحدّي الإنس والجن لو اجتمعت على أن تأتي بمثل هذا القرآن فلم يستطيعوا، ولهذا عدلوا الى تحدٍ آخر تصوروه معجزًا للرسولﷺ، فبدأوا يطالبونه بالآيات المادية، قالوا لن نؤمن لك حتى:

أن: ﴿لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾.

أن: ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾.

أن: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾.

أن: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾.

أن: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ﴾.

أن: ﴿أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ﴾.

لا يملك الرسولﷺ جوابًا على هذه التحديات، فكان جواب الله تعالى هو: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾. إنهم يعلمون أن هذه التحديات لا يمكن

إنجازها من قبل البشر، ثم إن كانوا حقًّا يريدون الإيمان فقد جاءتهم أبلغ الآيات، وهو القرآن الكريم، فلماذا لم يؤمنوا، وهم يعلمون أن الرسول الى البشر ومن البشر. قل لهم: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾. واعلموا أنه: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾. وهو الذي أنعم عليكم هذا الكون بخيراته وحريص على هدايتكم، غير أنكم جاحدون، حريصون على أموالكم، حتى لو أعطاكم الآيات التي أردتم.

ويبقى القرآن في سورة الإسراء، أحد أهم محاور التحدي، فالقرآن أنزل في أوقات متطاولة احتوت الحق كله والإعجاز كله ليتلوه الرسولﷺ على الناس كافة؛ لأنه رسول الله إليهم كافة، فقل: يا محمد لبني إسرائيل وقريش وغيرهم، إن آمنتم به أو لم تؤمنوا، فالأمر لا يتوقف عليكم، وغير محتاج إليكم ولا موقوف عليكم، لأن إيمانكم به خير لكم، وإلا فأنتم لا تضرون إلا أنفسكم. يكفي إيمان أهل العلم قبله من أهل الأديان الأخرى، الذين ثبت لديهم أدلته من الله تعالى: ﴿قُلْ آَمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا(107) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾. (الإسراء:107ــ108).

ـــــ سورة يونس

دليل آخر على إلهية القرآن الكريم...

عندما كان الرسول يتلو على الناس القرآن يقول الناكرون للبعث: ﴿ائْتِ بِقُرْآَنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾. فكيف يواجه الرسولﷺ هذا التحدي؟! يأتي الجواب من الله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. وكان من الأجدر أن يدافع النبي بنفسه عن هذه المسألة فيقدّم آراءه في هذا المجال. وهو يعلم ظروفه وحياته قبل الرسالة، غير أن المسألة ليست مسألة محمد واهتماماته، إنما هي قضية القرآن، الصلة بين الله

والبشر، فيعلمه الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

ولما استوضحت قريش واليهود من تاريخ النبي ولم تجد ما يؤيد أدلتها، بل وجدت الحقيقة القرآنية، فحق عليها القول: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾. وتمثل إجرامهم من غير الكذب على الله أو تكذيب بآياته، في الادّعاء بأن الذين يعبدون من الأصنام هم شفعاؤهم عند الله.

تحديات قريش واليهود وغيرهم للرسول، كانت كثيرًا ما تركز على القرآن الكريم، في محاولة لنفي ألوهيته، فأعطى الله ﷻ للرسولﷺ أسس المواجهة وتساؤلاتها الكبرى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

_ تناولت سورة يونس المسائل الآتية:

1ـ الرزق.

2ـ الحياة.

3ـ المعرفة.

4ـ إدارة العالم.

تعرف المنظومة الفكرية الناهضة للرسولﷺ أن هذه القضايا من الله تعالى، فهم يعرفون أن الرزق من الله، والمعرفة كذلك، والحياة، هنا توقع الحجة البالغة عليهم، فما داموا يعرفون الله في هذه المسألة فلماذا ينكرون كونه مصدرًا للقرآن؟

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾.

﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾.

إذن من أحق بالاتباع؟!

*لا يمكن أن يُفترى هذا القرآن من دون الله، لأن هذا القرآن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب.

* ليس هناك من دليل على افتراء القرآن من قبل الرسول، إذا كان هذا إيمانكم، فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله. لقد فشلوا في هذا التحدي الى الآية.

* وإن كذبوك، فقل لي عملي ولكم عملكم، أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون.

* تأكيد جديد على الحريّة.

* وهناك من يستمع إليك، ولكن دون فَهم وهذه الكارثة التي بقيت الى الآن، فالقرآن الكريم ليس محل فهم وتدبر عند الكثيرين حتى من المسلمين. والحال مثل حال أولئك الذين يستمعون إلى النبي غير أنهم كالصم ولا يعقلون... وينظرون إليك بعيون فاقدة للوعي، فهم كالعميان.

* إن تعطيل هذه الأدوات العقلية عن المعرفة والتفكير السليم، هو أحد أشكال ظلم الإنسان لنفسه تحديدًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾. (يونس:44).

* يسألونك عن موعد البعث، هنا الإجابة تختلف: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾. (يونس:49).

يا محمد قل لهؤلاء الناس: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. (يونس:57).

هذا توصيف إلهي للقرآن الكريم، وهو فضل الله تعالى عليكم، وليكن فرحكم الحقيقي بالتفاعل مع القرآن وهداه، فهو الميزان الحق الذي يعينكم على تحقيق العدل.

ويا محمد في أي شأن تكون وما تتلو من قرآن، وما تعمل من عمل إلا كان الله عليك شاهدًا وعلى الناس جميعًا، فهو لا يعزبُ عنه مثقال حبة من خردل.

وأمام افتراءات القوم على النبيﷺ يعلمه الله ﷻ أن يواجههم بالقول: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾. (يونس:69).

تعود السورة لتؤكد على حريّة الإيمان: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آَمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آَمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ(98) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآَمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾. (يونس:98ــ99).

وجه القوم ليتأملوا آيات الله في السماوات والأرض، ولا تعولوا على الآيات فهي لا تغني عن قوم لا يؤمنون.

ويعود الله تعالى يرسخ فكرة الحريّة بقوله للرسول: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. (يونس:104).

وعلى إقامة وجهي للدين حنيفًا، وألّا أكون من المشركين... ولا أدعو من دون الله ما لا ينفعني ولا يضرني، وإذا فعلت هذا فأنا من الظالمين المشركين. وتنتهي السورة بالتركيز على الحريّة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾. (يونس:108).

يا محمد: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾. (يونس:109).

ـ سورة هود

يستعرض القرآن الكريم قصص الأولين من الأقوام الذين عصوا أمر ربهم وانحرفوا، مثل: ثمود، وقوم لوط، وصالح عليه السلام، الذي دعا قومه أن اعبدوا الله، فإذا هم فريقان يختصمان، فريق التوحيد، وفريق الشرك، وخاطبهم صالح بحكمته قائلا: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. (النمل:46). فكان جواب فريق الشرك: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾. فأجابهم صالح: ﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾. (النمل:47). لقد أصروا على الكفر والشرك بالله، ورفض حكمة صالح عليه السلام، وهو يخاطبهم

بمنطقهم ولم يفلح، ولهذا لم يترك الأمر للنبي محمدﷺ أن يواجه قريشًا واليهود وغيرهم من رافضي الإسلام بحكمته، إنما تولّى الله التوجيه.

ومرة أخرى تظهر المواجهة في ساحة القرآن الكريم، إذ كلما أسقط القرآن حجة لمعانديه، عادوا لاتهام الرسول بافترائه، وعند كل ادعاء يتحدى الله تعالى المعاندين بأن يأتوا بمثله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (هود:13).

ولا يعرف ماذا سيحل بعد هذا التحدي، هل سيفلح الكافرون أم لا؟!

فيختبره الله تعالى بأن لن يستجيبوا لهذا التحدي، وقد هيأ الله ﷻ الجواب: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾. (هود:14).

وكذلك يرد التحدي في سياق استعراض قصة نوح مع قومه، وكأن الآية تكشف عمّا يدور في أذهان القوم من تكذيب لما يسمعون. فجاءت الآية لتصدمهم بكشف ما يدور في أذهانهم، فكانت دليلًا آخر على هذا الذي يُتلى، إنما هو وحي إلهي من عالم الغيب والشهادة.

ـــ سورة يوسف

"قُل" التي في سورة يوسف تحدد للرسول سبيل الله المُتبع من قبل الرسول وأتباعه، أي: هنا حدد الله ﷻ للرسولﷺ ما يتبع، ودعوة الرسول للأمة بأن يتبعوه، وهو اتّباع لسبيل الله الذي يضمه كتاب اللهﷻ، وملخص السبيل هنا، الدعوة إلى الله على بصيرة، وهذا هو المنهج الذي يتبعه المؤمنون على مر العصور: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. (يوسف:108).

ـــ سورة الأنعام

يوجه الله تعالى رسوله الكريم في مواجهة الكافرين بالنظر في سيرة المكذبين السابقين: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾. وكذلك يؤكد القرآن الكريم على ضرورة مواصلة الحوار معهم:

قل: ﴿لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

قُلْ: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾.

قُلْ: ﴿إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

قُلْ: ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

قُلْ: ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

وتواصل قوى الكفر تحديها للرسول والوحي، بإن يأتيهم آية من ربهم، فيعطي الله ﷻ الجواب لرسوله محمدﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

لقد أنزل الله تعالى آيات عدة أعجزت مناهضة الرسل، ومع هذا كذبوا بها. ولهذا فإن إنزال آية جديدة مشابهة يعد أمرًا عبثًا. والله لا يفعل العبث، فكانت الحكمة في القرآن آية عظمى على مرّ العصور.

لقد وقف مناهضو الرسل ضد كل آيات الله المادية وغير المادية، فهم صم بكم في ظلمات، وذلك لأنهم أبوا الإيمان حتى مع ظهور الآيات ونزولها. ومع هذا يخاطب الله الرسولﷺ بأن يقول لهؤلاء وأمثالهم: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(40) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾. هكذا يؤكد الله ﷻ على هذه الحقيقة الغيبية. والدليل على هذا أن بأس الله تعالى قد ضرب أممًا سابقة عاندت رسالاته،

فأخذهم البأساء والضراء، حتى يتضرعوا إلى الله في هذا الموقف الرهيب، غير أن كيد الشيطان كان أقوى منهم فزين لهم أعمالهم، ونسوا ما ذكروا الله به، فكانت النتيجة أن فتح الله عليهم أبواب كل شيء من خير، ففرحوا متصورين أن إرادتهم قد انتصرت ومواقفهم هي الأقوى، عندها أنزل الله تعالى عذابه عليهم فإذا هم مبلسون.

ويواصل الله ﷻ، مد الرسول لقوانين المواجهة المنطقية مع مناهضيه:

1ـ إن الله تعالى خلق السمع والأبصار، فإذا أخذها من يعيدها اليكم غيره، فإذا تصور البعض اليوم أن عملية جراحية تعيد ما فقده الإنسان، فكيف إذا ختم على قلوبهم بختم الجهل من يمسح هذا الختم.

2ـ إذا أتى العذاب بغتة أو جهرة، هل يهلك غير الطاغين، فمن ينجي المؤمنين، ومع كل هذه الحوارات المنطقية، يؤكد الله تعالى على الرسول ليس إلَّا بشيرًا ونذيرًا: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آَمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(48) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾. (الأنعام:48ــ49).

إنها المسؤولية الإنسانية في أرقى أشكالها، أن تختار الحق أو لا تختار تلك هي المسألة.

وفي ضوء هذا المبدأ. يعلم الله تعالى الرسولﷺ أن يقول للناس كافة، لمن يختار أو لا يختار: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾. وأنذر بهذا الوحي، وليس بغيره، والذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع، لعلهم يتقون به مكائد الأنس والجن.

ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، فهؤلاء هم أهل الله وخاصته، وأهل القرآن، احذر أن تتعالى عليهم في مجلسك، فتكون من الظالمين، وقل لهؤلاء المؤمنين بآياتنا: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

هكذا يرسم الله تعالى للرسولﷺ طرق إدراك الناس والتعامل معهم، فالمؤمنون قد يخطئون عن غير عمد، فلا يؤاخذهم الله آنذاك، أما الملحدون المجرمون بإصرار فلهم عذاب مهين، هكذا يفصل الله الآيات للرسول حتى يستبين سبيل المجرمين، فلا يقع في حبائلهم.

وفي هذه المواجهة يُعلم الله ﷻ الرسولﷺ أن يقول:

1ـ لا أعبد الذين تدعون من دون الله، فلا أتبع أهواءهم؛ لأن النتيجة هي الضلال.

2ـ أنا على بينة من ربي، فقد رسم الله تعالى إستراتيجيات المواجهة، وبرامج العمل، والله هو الذي يقص الحق، وهو خير الفاصلين.

3ـ لو عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم الآن، ولكن الأمر لله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

4ـ هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم ومن تحت أرجلكم، أو يلبسكم شيعًا، ويذيق بعضكم بأس بعض، هكذا يصرف الله آياته حتى يفقهوا الأمر على حقيقته: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. هدى الله هو الصراط المستقيم، فاقتدِ يا محمد بهدي الله الذي هدى به منظومة الأنبياء السابقين.

لقد كذب اليهود بكل هذا الهدى، وقالوا: ﴿ما أنزل الله على بشر قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم وآباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾. وهذا الكتاب جاء مصدقًا لما جاء به موسى، وهو بصائر من الله فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها، وما أنا عليكم بحفيظ.

هنا تشرق شمس الحرية والاختيار مرة أخرى، أما الرسول في دعوته؛ فليس له الاختيار، إنما هو فرض ومسؤولية لا خيار في تركها وترك ما يوحى إليه من ربه، والإعراض عن المشركين. وفي عنت المواجهة وعمقها العقائدي يؤكد الله تعالى على عدالته في مكافأة الجميع، حسب عمله، وهو ليس غافلًا عن عمل الظالمين، ويؤكد

على أن ما يوعد به الجميع لآت، لذلك يعلم الرسولﷺ، أن يقول لهم: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾. وسيأتي اليوم الذي تعلمون فيه لمن عاقبة الدار، إنه لا يفلح الظالمون. تأكيد على أهمية الحرية والاختيار في المواجهة.

تجرأ أحبار اليهود على التحريم والتحليل تحت ذريعة أن الله غفور رحيم، فأخذوا يتلاعبون بالحلال والحرام حسب أهوائهم ومصالحهم، فيعرض القرآن الكريم واحدة من هذه الممارسات فيما يتعلق بلحم القرآن والإبل والضأن والماعز، فقد أخذ اليهود يحرمون ما يريدون، ويحللون ما يريدون على وفق أهوائهم ومصالحهم. فيوحي الله تعالى للرسولﷺ بممارساتهم هذه، ويعرّي موقفهم الانتهازي: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. فإن كذبوك في هذه فقل: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾. فيما يخص المؤمنين الأنقياء. ولا يردُّ بأسه عن القوم المجرمين أمثالكم في المواجهة مع المشركين. يضع الله ﷻ للرسول إستيراتيجية الشرك استعدادًا للمواجهة: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾.

هنا يقدم القرآن الكريم (قضية الجبر) الشركية التي تقوم على أن الله تعالى هو الذي جعلنا مشركين، وهو الذي جعلنا نحرم هذا أو ذاك... ولو شاء الله لم يفعل، فكيف يواجه الرسول هذه العقيدة؟ ويضع الله ﷻ بين يديه إستراتيجية المواجهة: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾. الرد منطقي جدًّا، هل عندكم من علم مبني على أدلة عقلية وسمعية، يمكن الاحتجاج به على ما تقولون؟ إن قولكم هذا، إن هو إلَّا اتباع الظن. والظن لا يغني من الحق شيئًا... وإنَّ طرحكم هذا، إن هو إلا كذب وادعاء تسوغه لكم مصالحكم. أما الحق والحجة البالغة فهي عند الله تعالى، فلو شاء لهداكم جميعًا، وبالتالي فإن تعليق إيمانكم بمشيئة الله يستوجب تعليق دين من يخلقكم بمشيئته كذلك،

والمفروض في هذه الحالة، ما دام أمر الجميع متعلق بمشيئة الله، فالمفروض أن تسود المودة بينكم لأنكم ومخالفيكم متعلقون بمشيئة الله تعالى. وفي إطار الحق الإلهي وصدق الدعوة، يقول الله العليم الحكيم للرسول: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾. إن الذين يحرّمون ويحلّلون حسب أهوائهم، ويكذبون بالآخرة، ويصدرون الأحكام بالتحريم والتحليل، أولئك يعدلون بربهم غيره، فأولئك أصحاب الهوى. بعد هذه المواجهة، وإسقاط مسوغات الأحكام البشرية الجائرة، يخبر الله تعالى رسوله ﷺ بالتحريم الحق فيقول:

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾.

﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾.

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾.

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾.

﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾.

وبعد هذه المواجهة العقائدية والتشريعية، وبعد أن تحددت الاختيارات يُطمئن الله تعالى رسوله، بأنه قد أنجز مهمته في التبليغ، وعليه فإن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء، إنما أمرهم إلى الله تعالى... ثم ينبئهم بما كانوا يعملون. وليعلم الجميع كرم الله تعالى ورحمته وعدله، إنه من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها، وهم لا يظلمون. وأعلن للعالم موقفك النهائي فقل:

قُلْ: ﴿إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

قُلْ: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

قل: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾.

قُلْ: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

قُل: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

ـــ سورة الصافات

في السؤال عن حقيقة البعث المتكرر دائمًا من قبل الملحدين والجاحدين والكفار، واتهام الرسول بالسحر: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ(16)أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾. يأتي الجواب الإلهي الصارم ليُثبت الرسول في المواجهة: ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾. مكروهون عليه صاغرون أذلة صغراء.

في ضوء هذه الحقيقة، فإن الأمر لا يتعلق بالبعث، وإنما سيجمعكم مع بعضكم، وتبدأ مواجهة جديدة بينكم وبين قياداتكم الذين أضلوكم، وستأكلون من شجر الزقوم، وتشربون عليه الحميم: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ(62) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ(63) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ(64) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ(65) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ(66) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ(67) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ(68) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾.

ـــ سورة لقمان

في إطار الجدل الدائم بين الرسول والكفار، يظل السؤال المعروض على الرسول ﷺ مُلحًّا هو: من خلق السموات والأرض...؟ فيأتي الجواب: "الله". فهم لا ينكرون خلق الله للعالم، وبذلك تكون دعوة الرسول صادقة، فقل: الحمد لله الذي الجأهم إلى الاعتراف بالحق. غير أن أكثر المشركين لا يعلمون من هذا المستوجب الحمد وحده.

سورة لقمان هي سورة الحكمة التي واجه بها الله ﷻ قريشًا ومناهضي الرسالة، وهي تقارن بين نمطين من العقول الإنسانية، عقل يعرف الله ﷻ ويستكبر عن طاعته واتباع هداه، وعقل يعرف الله ويحيا في هداه ومنهجه.

ـــ سورة سبأ

تبدأ السورة بحمد الله، له ملك السموات والأرض، وله الحمد في الدنيا والآخرة، العالم بدقائق الأمور وكبيرها ويطرح المواجهة في مساله البعث، هنا ينكر الملحدون مجيء الساعة: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

وقل لهؤلاء المشركين أن يدعوا أصنامهم ليمنعوا عنهم الضر أو لتجلب لهم النفع فسيرون أنها لا تملك أن تأتي بمثقال ذره من خير أو شر في السماوات ولا في الأرض.

تتواصل الأوامر الإلهية لرسوله في مواجهة مناهضي الدعوة، في ميادين شتى:

في الرزق: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

في احترام حرية الاعتقاد: ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

في المواجهة: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾.

في التوحيد: ﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

في كل هذا فأنت مرسل ـــ بشير ونذير، ولكن أكثر الناس لا يعلمون: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

في السؤال عن يوم البعث: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(29) قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾.

وفي مواجهة خاصة للمترفين الذين غرتهم أموالهم، فكفروا بما أرسل الله تعالى، يُعلم الله الرسول أن يقول لهم:

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آَمِنُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آَيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

كان مناهضو الرسالة يعبدون الجن، ويؤمنون بتخيلاتهم الجنية، ولهذا عندما بلغهم الرسول رسالة ربه، والدعوة إلى عبادته، رفضوا الرسالة والدعوة بدعوى أنه يريد أن يصدكم عن عبادتكم وعبادة آبآئكم. وبالتالي فإن هذه الرسالة، إن هي إلا إفك مفترى، سحر مبين، هذه دعواهم لم تكن مبنية على كتب وعلوم سابقة قد وصلتهم، إن هي إلا ظنون، وكذلك لم يرسل الله تعالى قبله إليهم من نذير، فأقام هذه المواجهة مع الرسول، كان المنهج الإلهي في هذه المواجهة منطق هؤلاء هو يا محمد: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾. وكذلك قل لهم كي لا يتصوَّروا أنهم سيدفعون أجرًا لقاء هذه الدعوة: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾. واحسم الموقف معهم بالقول: ﴿قُل إنَّ رَبّي يَقذِفُ بالحقِ علاَّمُ الغيُوب﴾.

ـــ سورة الزمر

يواجه القرآن الكريم الكافرين الذين لا يعرفون الله إلَّا حين يمسَّهم الضر، أما إذا أعطاهم النعمة فيعودوا إلى أصنامهم عابدين، وفي هذا دليل على انعدام أخلاقية السلوك الكفري، وعدم منطقية كذلك أنَّه حين أعترف أولئك في ساعة الضر أن الله هو المنجي، كان المفروض أن يقودهم منطق الإيمان إلى قبول النعمة من الله، لذلك يقول الله للرسول، قل لهؤلاء الكفار تمتعوا بكفركم قليلًا، إن موعدكم النار فأنتم أصحابها.

إنّ عدالة الله تعالى ترفض المساواة بين أولئك الكفرة حتى مع إقرارهم بالله، وبين من هو قانت آناء الليل وساجد وقائم يحذر الآخرة، ويرجو رحمة الله، وترفض عدالة الله تعالى أن يتساوى بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، ولذلك يُعلم الله الرسول أن يقول للعباد: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وهنا الخطاب للعباد(المؤمنين) أن يتقوا ربهم، وهنا إشارات مهمة:

1ـ يمكن أن تكون المعصية مع الإيمان، وقد حصلت.

2ـ لذلك لا بد من الإيمان معززًا بالتقوى، ومضامين التقوى عديدة منها:

أ. عدم إتيان الكبائر.

ب ـ السلام.

ج ـ المحبة.

د ـ العدل.

الأمر الذي يعني أن الله تعالى أوصى المهاجرين إلى الحبشة، والسورة نزلت فيهم، أن يتصرفوا في المجتمع الذاهبين إليه وفق قيم التقوى مع إيمانهم، لقد وضعت الآية مبادئ الإسلام في العلاقات الدولية.

وتوضح الآية مسألة أخرى مهمة وهي ضرورة الإحسان مع الإيمان، لأن الله ﷻ سيكافئ المحسنين خير ثواب، ومن الإحسان الهجرة من أجل الدعوة. وسيكافأ

المهاجرون الصابرون على فراق الأهل والوطن، وفي هذا المضمار الرسولي/الدعوة، يعلم الله الرسول كيف يخاطب العباد ليأخذهم معه إلى جمال الرسالة وفعلها:

_ قُلْ: ﴿إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾. فحالي وحالكم في هذا مخلص له الدين فليس سواه معبود.

- قل: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

- قل: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

- قل: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي(14) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

وتعود السورة للحجاج المنطقي مع مناهضي الرسالة، إن كنتم تعرفون الله وقت الضيق والضرر وتعرفون أن الله خالق الكون، فقل لهم يا محمد: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾. إذن أروني قدرات آلهتكم الذين تدعون من دون الله؟، تحَدٍ أسكت القوم؛ إذ لا حجة لديهم في ذلك.

وأمام هذا المنطق الحكيم يقول الله ﷻ للرسول: ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾. وتعود أنسام الحريّة تهب من جديد، وبعد أن أقام الله الحجج على الكافرين وألقموا حجرًا، يقول اللهُ للرسول قل لهم: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. أنتم عاملون بإيمانكم ومعارفكم وقدراتكم، وأنا عامل بإيماني وعلمه وحكمته وسوف تعلمون، تأكيد على حقيقة البعث والجزاء.

ويخاطب الله تعالى الرسولﷺ تعزيزًا لنبوته وحرية الإيمان: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

أمام قدرة الله الفائقة، هل اتَّخذ الكفار آلهتهم شفعاء، يقول الله ﷻ لرسوله قل لهم: ﴿أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾. (الزمر:43).

وقل لهم إن الشفاعة لله فهو مالك السماوات والأرض المتصرف فيهما، وإليه يرجع الناس يوم القيامة فيحكم بينهم بعدل ورحمة، ويجزي كلًّا بعمله. وقل أنا أدعو الله فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، فأنت الحاكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، وأنت الحاكم بيني وبين هؤلاء القوم فيما كانوا فيه يختلفون.

وقل يا محمد: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(53) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾. (الزمر:53ــ54). هنا دعوة للعصاة والكفرة والمسرفين على أنفسهم بتجاوز حدود الله وأحكامه إلى التوبة والرجوع إلى الله ﷻ، ويخبرهم بإنَّ الله يقبل توبتهم، ويغفر ذنوبهم جميعًا بعد رجوعهم عن المعاصي والذنوب.

وبعد كل هذه الحكم المنطقية والدعوة بالمغفرة والإنابة إلى الله ﷻ، وهذه الرحمة الواسعة التي أنزلها الله تعالى على عباده، يظل الكفار يطالبون الرسول بالانتماء إليهم ومشاركتهم عبادتهم، إن الرسول بعد أن تلقى الكثير من علم الله تعالى، كان يمكنه رفض هذه الدعوة بطريقته وأسلوبه، غير أنه انتظر الجواب من الله ﷻ؛ لأن حكمه هو السائد وعلمه هو الغالب ولا غيرها من أحكام في شؤون الدين، فيقول: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾. ويحذِّر الله تعالى عباده من الشرك ويشملهم بالتحذير بقوله: لقد أوحى الله إليك انه إذا حصل منك إشراك بالله بعبادة الاصنام ليبطلن عملك جميعه، وكل ما أنجزته من خير وبر وإحسان.

ـــ سورة غافر

تستعرض سورة غافر عظمة الله ﷻ، الذي جعل الله الليل سكنًا والنهار مبصرًا، وهو خالق كل شيء، والذي جعل الأرض قرارًا والسماء بناء، وصوركم فأحسن التصوير، وهذه العظمة مقدمة لبيئة رائعة وهي بعد هذا الذي تعرفونه عن الله تعالى، قُلْ: ﴿إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. فالأمر هنا هو التسليم لله رب العالمين، ماذا يعني التسليم لرب العالمين؟ يعني الاكتفاء بعلمه تعالى، وهو الوحي.

ـــ سورة فصلت

ما زالت المعركة مع الرسولﷺ حول القرآن الكريم، قريش ومناهضو الدعوة رافضون كونه الدليل على نبوة محمد ﷺ، يقولون قلوبنا في حجاب مما تدعونا إليه، وفي آذاننا وقر، أي ضعف، وبيننا وبينك حجاب، لم يطرح الرسول حديثًا أو وجهة نظر في المسألة، إنما يأتيه العلم الإلهي في المواجهة: قل يا محمد: لهؤلاء المكذبين من قومك، أنا بشر مثلكم ولست ملكًا، اختارني الله تعالى ليوحي إلي رسالته إليكم، وهو الله الواحد القهار لا إله غيره، وهو الخالق الرزاق المدبر، وأصنامكم لا تفيدكم شيئًا، فامنوا بالله واستغفروه؛ يغفر لكم، وقل لهم إنكم تكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادًا وأمثالًا تعبدونهم من دونه، وهو رب العالمين خالق كل شيء في الوجود، وهو القاهر فوق عباده: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ(6) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ(7) إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ(8) قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ(9) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (10) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ(11) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي

يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾. (فصلت:6ـــ12).

وبهذه الحقائق واجه الرسولﷺ قسوة قريش، وبهذا الإيمان واجه كيدهم وإصرارهم على الكفر والطغيان. سلاحه الإيمان بالله واتباع وحيه، ويبين الله تعالى للرسولﷺ إذا أعرضوا عن الدليل، ويصرّون على الكفر الجحود: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ(13) إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ(14) فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ(15) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ(16) وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(17) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾. (فصلت 13- 18). إنه علم الله أولًا وأخيرًا جوهر الدين ومظهره.

ـــ سورة الشورى

تؤكد السورة على التوحيد والمعاد، وعلى مرجعية القرآن الإلهية، التي توضّح قدرة الله ﷻ المطلقة في خلق العالم، ولأن عقلية قريش التجارية لا تنظر إلى الأشياء إلّا بعين الربح والخسارة، فبيين الله ﷻ للرسولﷺ أن يعلمهم أن الأمر ليس كذلك، فكل ما يريده هو المودة في القربي، ولتسعدوا في الدارين: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾. (الشورى:23). تأكيد على البنية الأخلاقيّة للرسالة.

ـــ سورة الزخرف

ما زالت قضية التوحيد والقرآن الكريم هي ساحة المواجهة مع قريش ورافضي الرسالة، وأدلة الله المعجزة تتوالى على القوم الكافرين، وهم مصرون على العناد ورفض الأدلة بحجج واهية، وجدل عقيم، ويحتاج الأمر إلى خزين معرفي كبير، وفيض من المعلومات، وهي وإن كان الرسولﷺ على علم بها؛ فهو ابن مكة وتراثها الفكري المتنوع، إلا أنه لا يخوض المواجهة بآرائه، إنما ينتظر الوحي للإجابة؛ لأنه الدين، أحكام الله وعلمه ومنهجه، هنا تأتي الإجابة على منهج قريش ورافضي الدعوة:﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾. (الزخرف:81).

وأمام هذه المواجهات الصعبة، ولكي تحافظ الدعوة على مرجعيّتها الإلهية، يدعو الله الرسولﷺ إلى أن يتمسك بالدعوة، فهو على الصراط المستقيم: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(43) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾. (الزخرف:43-44).

ـ سورة الجاثية

تعالج السورة في وحدة موضوعية قضية التوحيد ومرجعيّة القرآن الإلهية، وضرورة الحفاظ على وحدة الشريعة، واتباعها فهي الصراط المستقيم الذي جاء في السورة السابقة لها، وعدم اتباع سبل الذين لا يعلمون، وهم اليهود الذين اختلفوا في الشريعة وجعلوا لها مصدرًا ثانيًا هو التلمود، فاختلف الأحبار في جواز هذا الأمر وعدم جواز ذلك، كل يرجح ما يزينه له هواه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ(16) وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ(17) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ(18) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ(19) هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾. (الجاثية:16-20).

يواصل الله ﷻ في تعليم الرسول أخلاق المواجهة مع مناهضي الدعوة، فيقول للرسولﷺ أن يقول لهم: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آَمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. (الجاثية:14). وفيها تأكيد أيضًا على البعث والقيامة في مواجهة الملحدين، منكري البعث، واليوم الآخر، يقول الله للرسولﷺ: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. (الجاثية:26).

ـــ سورة الكهف

في سورة الكهف تساؤلات صعبة جدًّا تواجه الرسولﷺ، واستفسارات لا يملك الرسول علمًا بها:

_ إجابة على عدد الذين اعتزلوا قومهم في الكهف: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾. (الكهف:22).

_ إجابات إلهية عن أحداث تاريخية:

أ ـ أهل الكهف.

ب ـ ذو القرنين.

ثم تحديد الإجابة الإلهية عن (الأخسرين أعمالًا)، ليس للنبي أن يحدد الإجابة عن الأخسرين أعمالًا؛ لأن ذلك تدخل في الدين، وهو مهمة الله ﷻ، فأقام غرور مناهضي الدعوة واستغلالهم بقول الله ﷻ للرسولﷺ، أسألهم من الأخسرين أعمالًا: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾؟ (الكهف:103). ويأتي الجواب: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾. أولئك الذين:

1ـ كفروا بآيات ربهم.

2ـ كفروا بلقائه.

3ـ النتيجة حبطت أعمالهم.

_الموقف الإلهي:

لا نقيم لهم وزنًا يوم القيامة، وجزاؤهم جهنم.

ـ وفيها الإجابة عن علم الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾. (الكهف:109).

ـ وتحديد بشرية الرسول: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾. (الكهف:110).

ـــ سورة النحل

تنتقل سورة النحل للمواجهة مع الناس خارج مكة، ولا سيّما أهل الكتاب، وسيكون للقرآن حضوره الفاعل؛ لأنه صوت الدعوة والرسالة، ولأنه الدليل على كشف التناقضات التي يعيشها القوم، والاختلافات بينهم في أمر شريعتهم، وحتمًا سيواجهون الرسول من أين لك هذه المعلومات، فجاء جواب الله ﷻ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾. (النحل:102).

ـــ سورة إبراهيم

تبدأ بالتأكيد على المرجعية الإلهية للقرآن الكريم الذي أنزل ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فكيف الأمر مع القيادات القرشيّة وغير القرشيّة الذين يرفضون هذا الخروج بإصرار، الذين هم متمسكين بالأصنام آلهة لهم. ويرفضون فكرة المعاد ويضلون الناس عن سبيل الله؟ وقد كثرت الأدلة على حقيقة وحدانية الله والمعاد وصدق النبوة، يأتي الرد على هؤلاء: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾. (إبراهيم:30). حقيقة لا مجال لنقضها.

ووصية للمؤمنين من الله تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾. (إبراهيم:31). وهنا يؤكد القرآن الكريم على إقامة الصلاة كما أكدها في سورة الأعراف، وأكد على الإنفاق مما رزقهم الله ﷻ.

ـــ سورة الأنبياء

المواجهة هنا مستمرة مع الناس (اليهود والنصارى) وغيرهم من عرب الجزيرة، وسلاح النبوة في الدعوة هو الوحي، به ينذر وبه يبشر، وبه يعيد تشكيل العقل العربي بتجلياته المتعددة العقديّة والتشريعيّة والاجتماعيّة. لا يملك الزيادة عليه، ولا النقصان منه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾. (الكهف:45).

هنا التأكيد أيضًا على وحدانية الله ﷻ، ولكن بمنهج تحدٍّ جديد، هو الإتيان بالدليل والبرهان، فلم تعد تكفي ادعاءات المجوس بوجود إلهين، ولا ادعاءات المشركين بعبادة آلهة أخرى مع الله تجدي، إنما هو الدليل والبرهان:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾. (الأنبياء:22).

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾. (الأنبياء:24).

ثم يوبخهم الله تعالى في سؤالهم الذي يعلمه الرسول: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾. (الأنبياء:42).

وهذه أدلة القرآن على التوحيد والنبوة وبرهانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾. (الأنبياء:108).

وأنتم تعلمون يا معشر اليهود سنة الله في أنبيائه، يوحي إليهم، وقد آن أوان تسليمكم بوحي الله، فهل أنتم مسلمون له بالصدق والاتباع؟

ـــ سورة المؤمنون

تتجاوز السورة حدود مكة، إلى الدائرة الأوسع، للعالم، من خلال رسم ملامح مجتمع الإيمان وصفاته، وتطرح على كل القوى الرافضة للرسالة تاريخ النبوة منذ نوح إلى الرسول محمدﷺ، مؤكدة أنهم يتكلمون بلسان أقوامهم في معنى واحد هو(التوحيد)، والشواهد التاريخية واضحة عند الكثير من الأقوام، وبعد أن تتوالى

عليهم الأدلة المنطقيّة والعقليّة والتاريخيّة، يبدأ الحجاج الإلهي معهم، فتنهال الأسئلة:

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. (المؤمنون:84).

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾. (المؤمنون:86).

﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. (المؤمنون:88).

ولأن مشهد عذاب هذه المجموعات سيكون شديدًا. ولكيلا يكون الرسول أمام هذا المشهد المذهل، وحرصًا من الله ﷻ على مشاعر الرسولﷺ، يعلمه الله تعالى أن يدعو بقوله: ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ(93) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. (المؤمنون:93 ــ 94).

في أوقات الحجاج الصعبة يقول الله تعالى للرسول، قل هذا... وحتى في المشاهد الصعبة يعلمه كيف يواجهها؛ فكيف تراكمت ألاف الأقوال منسوبة للنبيﷺ؟

ــ سورة السجدة

تبدأ السورة بتقديم القرآن الذي لا ريب فيه من رب العالمين، ثم تطرح قضاياها في الله الذي أحسن كل شيء خلقه، وتشكيك رافضي الدعوة والرسالة بالبعث، وكيف يعود الإنسان بعد الموت، يأتيهم الجواب من الله. قل يا محمد: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ(11) وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾. السجدة:11ـــــ12. ويستمرون في غيّهم ورفضهم منطق الدعوة، ويقولون متى هذا العذاب في الأرض الذي طالما توعدتنا به، فيأتيهم الجواب: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾. (السجدة:29).

ــ سورة الطور

محورها الأساس هو البعث، هذه الحياة التي لم يستطع العقل القرشي أن يستوعبها، ولا أن يؤمن بها، وظلت أحد مسوغات رفض الرسالة والنبوة، والعمل

على التخلص من الرسول بأي طريقة، غير أن قوة الرسول يومذاك قد ترسخت، الأمر الذي دعا قريش إلى اتخاذ قرار تركه للدهر يموت فيه كما مات غيره من الشعراء، فيأتيهم الرد من الله ﷻ يقول للرسولﷺ: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾. (الطور:31). حتى موقف الدفاع عن نفسه بوصفه رسولًا تولّى الله تعالى أمره وعلمه كيف يواجه الأعداء.

ـــ سورة الروم

قضيتان مهمتان في هذه السورة التاريخ والعبرة، وآيات الله التي لم تفهمها قريش وحلفاؤها، فأما التاريخ فهو العلاقة بين الروم والفرس قبل البعثة النبوية، وما دار بينهما من معارك، كانت درسًا عميقًا للمسلمين فهموه جيدًا وآمنوا بأن نصرهم على قريش قريب، وهو ما لم تفهمه قريش. وما لم تفهمه مكابرة الآيات السبع التي وردت في السورة تلك المتعلقة بالأسرة واللغات ولون البشرة والكون والنوم في الليل والنهار، والظواهر الطبيعية كالبرق والمطر، وهي آيات مرتبطة بالتفكير والتدبر والعلم، وهي ظواهر كلها حركية متعاقبة، موت وحياة، ليل ونهار، وينهيها الله تعالى بالتأكيد على البعث: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾. (الروم:25).

غير أن القوم اتبعوا أهواءهم بغير علم، وأصروا على الضلال، ومع هذا لا يكف القرآن الكريم عن تزويدهم بسبل الهداية، فيقول الله تعالى للرسولﷺ: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾. (الروم:42).

فالمقترح إلهي، وليس للرسول إلا التبليغ، وتتكرر المسائل في سورة العنكبوت، فرأينا تركها.

الفصل الرابع: تحليل آيات "قُل" في السور المدنية

شكل (2)
عدد مرات ذكر "قُل" في سور القرآن الكريم المدنية

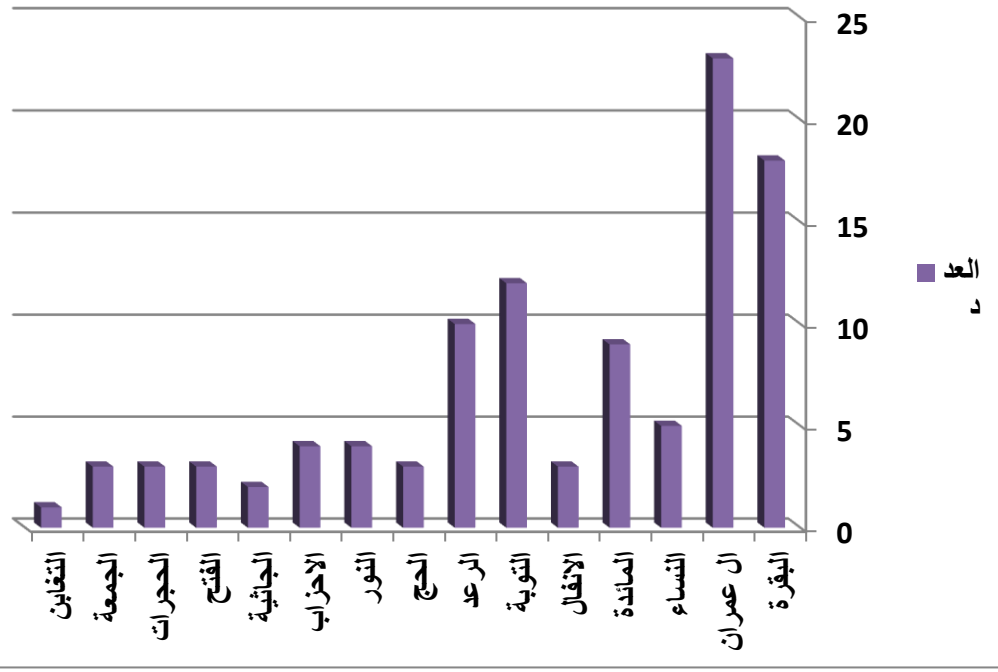

تتخذ آيات "قُل" في السور المدنية منحى آخر في المواجهة مع مناهضي الرسالة، وتأسيس قواعد الدين، وعلى النحو الآتي:

ـ سورة البقرة

كانت أولى المواجهات الصعبة مع اليهود الذين كانوا ينتظرون أخر الرسل: ﴿كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. وابتدأت المواجهة. هذه القضية تتناولها(سورة البقرة) أول السور المدنية، فبعد أن يذكّرهم القرآن الكريم بنعم الله عليهم منذ أن أخرجهم موسى من مصر وعبر بهم البحر والصحراء، وجحودهم له، وعبادتهم العجل، والتيه في الصحراء، والسخرية من الرسول، وتحريفهم مفاهيم التوراة الخاصة بمجيء الرسول الأخير محمدﷺ، بعد كل هذا يحذر القرآن الكريم الرسول والمؤمنين من الثقة بهؤلاء: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ(75) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. (البقرة:75ــ 76). وعندما واجههم الرسولﷺ بهذه الحقائق، وأن النار موعدهم، واصلوا كبرهم وعنادهم، وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات، أرادوا بهذا تفنيد آيات الله آنفة الذكر.

فكيف يرد عليهم الرسولﷺ: هنا يلقن الله ﷻ رسالته للرسول بأن الجواب هو: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. (البقرة:80).

ولأن علمهم بتوراتهم لا يعدو الفهم السطحي، يتبعون فيه ما يقول شيوخهم، فإن صدَّق الشيوخ صدَّقوا، وأن كذب الشيوخ كذبوا، وبناء على وعيهم هذا، قالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة، فجاءهم الرد الحاسم من الله ﷻ وليس من الرسولﷺ، ويؤكد القرآن الكريم على أن هذه المسألة تشمل كل العباد الذين يظنون بالله ظن السوء، فيدعي هذا أن عقيدته هي التي ستدخله الجنة، فيحسم الله ﷻ الأمر بالقول: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. (البقرة:81).

ويأتي هنا تأكيد دليل دخولهم النار التي سيكونون خالدين فيها، بالسيئات التي أحاطت بهم، فهم غارقون في السيئة تحيطهم خطاياهم كما يحيط النهر من يغطس فيه.

وتدخل قضية الإيمان بالقرآن الكريم مرحلة جديدة في المواجهة مع مناهضي الرسالة من اليهود... فقد رفضوا الإيمان بالقرآن الكريم، مدَّعين بأنّهم لا يؤمنون إلا بما أنزل عليهم، فكفروا بالقرآن وهو الحق مصدقًا لما معهم، فالقرآن لم يكذِّب موسى ولا شريعته، ولا المسيح وشريعته، وهذه محنة أخرى يواجهها الرسول في معركة الإيمان بالقرآن فيأتيه التلقين الإلهي: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(91) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (البقرة:91ـــ92). وتوالت حجج الله ﷻ التي أسقط بها منطق مناهضي الدعوة من اليهود، فيلقن الله ﷻ رسوله الكريم حجة أخرى في إبطال منطقهم: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآَخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (البقرة:94).

لقد عادى اليهود (جبريل) لأنهم يعرفون أنه رسول الله إلى رسله، ولما تأكد لديهم أنه أوحى من الله إلى الرسول محمدﷺ بأسرارهم عادوه، وأعلنوا بغضهم له، وبذلك أعلنوا بغضهم لله وملائكته ورسله... وهنا الهجمة شرسة كذلك، فكيف يواجهها الرسولﷺ، هنا تتحدد الإجابة الإلهية وتحديد الموقف من أعداء الله وملائكته ورسله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ(97) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾. (البقرة:97ـــ98). ويواصل اليهود إصرارهم على أن الحق معهم، رغم كل الحجج التي أسقطت ادعاءاتهم... وأن من يدخل الجنة هم والنصارى، فيأتي التلقين الإلهي للرسولﷺ: ﴿قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين﴾. (البقرة:111).

ويؤكد القرآن الكريم هنا مرة أخرى على استثناء المحسنين منهم، من أسلم وجهه لله: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. (البقرة:112).

لقد أقام اليهود والنصارى جدران البغض للرسول والرسالة، فأعلم الله ﷻ رسوله المصطفىﷺ، أن هؤلاء لن يرضوا عنك حتى تتبع ملتهم: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾. وعليه لمواجهة هذا الموقف يعلم الله ﷻ رسوله الرد: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. (البقرة:120). هو الطريق المنجي لكم بعد ما انحرفتم عن هدى الله ﷻ، الذي جاءكم به موسى وعيسىعليهما السلام. واحذر يا محمد أن تتبع أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ولئن فعلت ذلك فمالك من الله من ولي ولا نصير.

غير أن الله ﷻ يشير في هذه القضية إلى أن الذين آتاهم الكتاب من اليهود والنصارى، يتلونه حق تلاوته، أي يقرؤونه، أولئك يؤمنون بالكتاب الذي أنزل إليك جامعًا للحقيقة الدينية، هؤلاء هم الرابحون.

ويواصل اليهود والنصارى مناهضتهم للرسالة، فهذه المرة يطالبون الآخرين أن يكونوا يهودًا أو نصارى حتى تهتدوا، إن منهج الهداية صعب على النبي في مواجهة مناهج الآخرين، فيلقن الله ﷻ الرسولﷺ ما ينقض ادعاءهم ودعواهم: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. (البقرة:135). فإن أردتم الهدى فعليكم بملة إبراهيمعليه السلام: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ(136) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. (البقرة:136ــ137).

يرفض اليهود هذا المنطق لأنه يهدّ كيانهم كلّه. ويصرّون مكابرين على يهودية إبراهيم وإسماعيل ويعقوب، ونصرانيته، فيأتيهم القرآن الكريم بالمنطق القاطع: ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾. فالله ﷻ لم يشر في كتبه السابقة إلى شيء من ادعاءاتكم هذه... فكيف يواجه الرسول هذه المعضلة، يعلمه الله ﷻ الرّد: ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. (البقرة:140).

تتواصل الأحداث المرافقة لزمن سورة البقرة، وبدأت الحدود واضحة بين معسكر المناهضين له ولرسالته... لتبرز مسألة تبديل القبلة، التي هي رمز وحدة المسلمين، التي أثارت تساؤلات كثيرة: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. (البقرة:142).

وإذ تحوّلت المدينة إلى مقر قيادة المجتمع وثورة التغيير الحضاري، توالت الأسئلة على الرسولﷺ لتحديد الموقف من قضايا كانت سائدة قبله، ويريدون الموقف القرآني منها. وهو لا يملك الإجابة عنها شخصيًّا، ولم يجرؤ على ذلك، لأن الأمر متعلق بشان الدين، والدين صناعة الله ﷻ، فسألوه عن الأهلة، وسألوه عن الإنفاق، وسألوه عن الشهر الحرام، وسألوه عن الخمر والميسر، وسألوه عن اليتامى، وسألوه عن المحيض... ويبدو أنها كانت من مسائل الحياة في المدينة، فأراد مسلموها أن يعرفوا موقف القرآن الكريم منها، وكيف يعالجها، لم يُجب الرسولﷺ عن أي من هذه الأسئلة، منتظرًا الجواب الإلهي الشافي والمحدد فيها، وكان يمكن للرسولﷺ أن يطرح فهمه لهذه المسائل التي تكاد تكون مألوفة في المجتمع:

- قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (البقرة:189).

- قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾. (البقرة:215).

فتحددت جهات الإنفاق التي تقود إلى تحقيق الوحدة الأسرية والاجتماعية، بما يعزز وحدة المجتمع وقوته وتماسكه.

- قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. (البقرة: 217).

- قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾. (البقرة:219).

- قال تعالى: ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. (البقرة:220).

- قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾. (المائدة:4).

- قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. (الأعراف:187).

وهي أسئلة من مجتمع بدأ يتحول من حالة إلى أخرى؛ يقودها القرآن الكريم بعناية رسولية؛ ليؤكد مسؤولية الدين عن الإنسان ورعايته بما يضمن كرامته

وأمنه. لقد بينت السورة حقيقة غطّاها التاريخ الإسلامي بدهاء كبير، بأحاديث نسبت إلى النبيﷺ، واجتهادات سوّغت ممارسات السلطات الحاكمة، في الوقت الذي رسم القرآن الكريم حدود الإيمان، وطاعة الله ﷻ، واتباع رسالته: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾. (البقرة:285).

ـــ سورة الأنفال

توضح السورة عقلية المسلمين المتأخرة غير المستوعبة للإسلام بعد بما يحقق الإيمان، لمّا تزل عقلية الغزو والغنيمة شغلهم الأساس. ولهذا بدأت السورة بما انتهت له المعركة، الخلافات في الغنائم، ومن الأحقُّ بها؟، انقسم الجيش إلى كلٍ يرى أحقيته في الغنيمة، دون اعتبار للرسولﷺ، والرسول لا يملك قرار توزيع الغنيمة، رغم أن الغنائم تقليد حربي في عصره، فجاء أمر الله ﷻ حاسمًا: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. (الأنفال:1).

ولا ينبغي لكم الاختلاف هنا بعد أن نصركم الله تعالى، واعلموا أن الإيمان ليس بحثًا عن غنيمة، إنما كسب رضا الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ(3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ(4) كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾. (الأنفال:2ـــــ5).

وتأتي (سورة الأنفال) لتوضح سماحة الموقف الإسلامي من خلال إعلان الله ﷻ عن المغفرة لمن يتوب، حين لقن رسولهﷺ أحد المبادئ العليا لروح الدين: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾. (الأنفال:38). صلاحية المغفرة ليست للرسولﷺ إنما هي لله ﷻ، وأيضًا قل يا

محمد للأسرى الذين عندك إن يكن في قلوبهم خيرًا يعلمه الله وهو رغبتكم في الدخول في الإسلام، فإن الله تعالى يعوضكم خيرًا مما أخذ منكم ويغفر لكم ما كنتم عليه من الشرك والسيئات: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنفال:70). وتطرح سورة الأنفال قضية العلاقات بين القوى الإسلامية وبين المعسكر الآخر، ومدى الالتزام بالعهد والميثاق. وهي علاقات مبنية على السلم ونبذ الحرب: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. (الأنفال:61).

ـــ سورة آل عمران

يكون الزمن الإسلامي في العهد المدني، قد مضت عليه سنوات طوال، وانكشفت معطياته الأخلاقيّة والإيمانيّة، والعمليّة والعلميّة. وزمن الشرك والطغاة والسيئات هو الآخر مستمر، والمواجهة قائمة والتحدّي، ولا بد للمعركة أن تحسم، فيلقن الله ﷻ رسوله الكريم، ما يطمئنه على مسيرة الدين: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾. لا يملك الرسولﷺ تقرير حتمية النصر على الكفر وتحديد مصير الكافرين، ذلك فعل الله ﷻ. لذلك يلقن الرسول: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾. (آل عمران:12).

وجاء البرهان بانتصار المسلمين في معركة بدر، الفاصلة في تاريخ الإسلام، ولأن الحياة هي ميدان ممارسة المبادئ والقيم، فإن المقارنة بين جماليات الدنيا وجماليات الآخرة ضرورية، ليكون الجميع على بينة من الأمر والموقف: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾. (آل عمران:14). ولكيلا تكون الحياة وزينتها الشغل الشاغل للمؤمنين علَّمهم الله تعالى على لسان رسوله: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ

رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾. (آل عمران:15).

ويواصل الدرس الإلهي إشعاعه ليهدي الرسول إلى الموقف الرصين والحاسم في المواجهة مع مناهضي الرسالة: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾. (آل عمران:26) و: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. وفي ظل هذه الأجواء المتعددة العناصر يحدد الله ﷻ طريقًا جميلًا يتحقق فيه حب الله ﷻ لعباده ألا وهو(الاتّباع)، اتباع الرسول ﷺ، واتباع الرسول ﷺ يعني اتباع القرآن؛ لأن سنة الرسول ﷺ هي اتباع القرآن الكريم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، (آل عمران:31). الاتباع هو طاعة الله والرسول والقرآن والعمل به، فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين، الرافضين للحقيقة القرآنية.

وتنظِّم السورة العلاقة مع أهل الكتاب والحوار معهم، فيلقن الله ﷻ رسوله برنامج الحوار واللقاء: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾، (آل عمران:64). ويكشف الله تعالى عن إستراتيجية أهل الكتاب في التعامل مع الرسالة، ويلقن الرسول عليه السلام إستراتيجية المواجهة: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(72) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. (آل عمران:72ــ73). وتقوم إستراتيجية المواجهة مع الطائفة على: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ

مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ(84) وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. (آل عمران:84ـــــ85). وتقدم السورة دليلًا على صدق الرسالة ومصدرها الإلهي، وهذا ما ينبغي أن يعرفه الربانيون اليهود، ويشهدوا له بالحق: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (آل عمران:93). وحين عجز عن تفنيد هذه القضية يلقن الله ﷻ الرسول الكريم، الرد: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. (آل عمران:95). وتترى الأدلة القاطعة:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. (آل عمران:99). تؤكد السورة بعد رحلة الحوار المنطقي مع أهل الكتاب، تعزيز حقيقة أخلاق المسلمين الذين يحبون أهل الكتاب غير أن هؤلاء لا يحبونهم، فهم إذا لقوا المسلمين قالوا آمنا، وإذا خلوا إلى شياطينهم عضوا عليهم الأنامل من الغيظ: ﴿هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. (آل عمران:119). وتطرح سورة آل عمران كذلك قضية إنسانية خطيرة، هي إن الويلات من صناعة الإنسان، وكان يمكن للنبيﷺ أن يواجهها بإمكاناته الذاتية، غير أن قاعدة إدراكها والتعامل معها جاءت من الله ﷻ: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. (آل عمران:165).

وتعرج السورة مرة أخرى إلى قضية الموت الذي هو حتمية لا يدفعها شيء: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (آل عمران:168).

إن منطق المهزومين الذين سوغوا لأنفسهم الهزيمة من القتل، واجههم الله تعالى بحكمته التي علمها رسوله، قل لهم إن انهزمتم من القتل، فادفعوا عن أنفسكم الموت، إن كنتم صادقين في تصوركم وفهمكم.

وتقدم سورة (آل عمران) كذلك لحظة تأريخية أخرى من لحظات المواجهة مع الرسولﷺ هذه المرة يطلبون منه أن يأتيهم بقربان تأكله النار، شرطًا لإيمانهم، فيأتي المدد الإلهي: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (آل عمران:183).

سورة (آل عمران) مواجهة كبرى مع مناهضي الرسالة من اليهود والنصارى، في عقائدهم وادعاءاتهم وافتراءاتهم على الأنبياء، فأسقطت تصوراتهم في المسيح، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. (آل عمران:59). كذلك تؤكد السورة في خطابها لأهل الكتاب على ضرورة العودة إلى دين إبراهيمعليه السلام بغية تكوين وحدة تؤمن بالله وحده لا شريك له: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. (آل عمران:68).

وبعد كل الحجج التي عرضتها السورة في إسقاط تصورات اليهود والنصارى وعقائدهم، يقرر الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. (آل عمران:85). وحين يرفض اليهود حجج القرآن الكريم وأدلته التي نقضت عقائد القوم، يقول الله ﷻ للرسولﷺ : ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (آل عمران:93).

حسم الله ﷻ أمر الإيمان والاعتقاد، ورسم معالم العقيدة الإسلامية، فيما بلغه للرسول وأمره بالإيمان به واتباعه:﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾. (الأنعام:106). و:﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ

حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. (النحل:123). فمن أين جاءت هذه العقائد التي فرقت بين الأمة وأضعفتها، والقرآن الكريم يدعو إلى الوحدة والتعاون.

_ سورة النساء

تتناول(سورة النساء) قضية مهمة في الحياة الاجتماعية والإيمانية في المجتمع، تسقط فيها أسطورة الخلق التوراتية في خلق آدم وزوجه، إذ تؤكد السورة على أن الله ﷻ خلق آدم وزوجه من نفس واحدة هي التراب، ولم يخلق الزوجة من ضلع أعوج كما تدعي العقيدة التوراتية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾. (النساء: 1).

وفي السياق ذاته، استعادت المرأة كرامتها في قضية الإرث والوصية كذلك، فقد كانت المرأة في المجتمع العربي قبل الإسلام تعاني الظلم في هذه القضية، بحكم ثقافة المجتمع الذكورية المرتبطة بالقتال والغزو والسلب، فجاءت أحكام الإسلام هنا لتعيد اعتبار المرأة وتحقق العدالة الاجتماعية في إطار مساواة أخلاقية، تحقق فيها كرامة الرجل والمرأة على حدٍّ سواء.

غير أن الأخلاق الجاهلية تسربت إلى كثير من الأحكام الفقهية في هذه القضية، وعادت تمارس اضطهادها للمرأة تحت خيمة الإسلام، أو باجتهادات تعتمد أحاديث تخالف النص القرآني مثل لا وصية لوارث، ومشاركة الأعمام ميراث بنات الأخ.

وفي سورة (النساء) بعث للروح المعنوية ولقوة النفوس الخائفة من القتال، الذين بدؤوا يستطيبون الدنيا، فيضع الله ﷻ القاعدة الإلهية للتعامل مع هذه المواقف: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾. (النساء:77). وأمام محن الموت والخوف منه، ينتظر

الرسول توجيهات الله ﷻ في هذه القضية، فالذين إذا أصابتهم حسنة يقولون من عند الله، وإذا أصابتهم مصيبة يقولون هذه من(عندك)/الرسول: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾. (النساء:78).

وشغلت قضية النساء الرسول والمدينة كثيرًا، بوصفهن قوة اجتماعية، لهن مكانتهن الاجتماعية، لم يقدم الرسولﷺ إجابات عن الأسئلة التي واجهها، إنما جاءت الإجابة الإلهية كيلا تكون لعبة بيد الآخرين، يتحكمون في النساء كما يشاؤون: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. (النساء:176).

ـ سورة الرعد

والإجابة عن موضوعات تتناولها سورة (الرعد) تدخل هي الأخرى في صلب القضية الدينية، وفي مقدمتها(التوحيد). تتحدد الإجابات في السورة عن تساؤلات الخلق. وتأتي الإجابة: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾عن تساؤلات المعرفة يحسم الله ﷻ الأمر: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾. (الرعد:16).

وظلت التحديات قائمة، وإحراجات النبي لا تتوقف، يطالبونه بآية من السماء... فيأتي الجواب: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾. (الرعد:27).

وتناولت سورة (الرعد) كذلك قضية سنن الله ﷻ في الأمم... وهي إرسال الرسل ليتلو عليهم رسالته، ويدعوهم للخير، وهم به كافرون: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ (الرعد:30). وفيها أيضًا الموقف من الكتاب، بين المؤيد له والرافض: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ (الرعد:36). وتتناول سورة (الرعد) كذلك قضية تحدي النبوة ورفضها القاطع، فكيف يواجه الرسولﷺ هذه المحنة...؟ فالرسول يمتلك من القدرات على الرد والدفاع عن النفس والقضية، ولكن لأن القضية ليست شخصية، إنما هي مسألة دين. كان الجواب الإلهي: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾. (الرعد:43).

ـ سورة النور

في سورة (النور) تأسيس للقواعد الأخلاقية، أخلاق المؤمنين، لهذا يعلم الله رسوله أن يقول للمؤمنين أن يغضوا أبصارهم؛ لأن التحديق المتعمد في الآخر سلبٌ لحريته.

- قال تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم يحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾. (النور:30).

- قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (النور:31). وفيها تعرية لأخلاق النفاق.

- قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. (النور:53).

إخبار للنبيﷺ عن أهل النفاق الذين كانوا يقسمون للنبي على أنه إذا أمرهم بالخروج ليخرجن معه، فيُعلم الله ﷻ الرسولﷺ أن يقول لهم لا تقسموا، فالله يعرف طاعتكم، قول بلا فعل.

وتتناول السورة قضية الطاعة ومسؤولية قرار اختيار الإيمان أو الكفر: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾. (النور:54).

ـ سورة الحج

في سورة (الحج) جملة قضايا تهم الناس في هذه الفريضة في مقدمتها(الصبر) على ظلم الكفار، حين يتلى عليهم القرآن فينهالون عليه بالضرب والشتم: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾. (الحج:72). مواجهة سلمية يحددها الله ﷻ مع المعتدين على المسلمين في الحج، أراد الله ﷻ أن يكون موسم الحج موسمًا سلميًّا نقيًّا خالصًا لوجهه.

ـ سورة الحجرات

في سورة (الحجرات) رسم لقواعد الأخلاق المدنية الإسلامية الجديدة، ذلك أن المدينة دخلت طورًا حضاريًّا جديدًا بعد معركة الأحزاب، وصارت ملتقى القبائل، لتعلن إسلامها، فكانت تلك الوفود تتصرف على وفق عاداتها وتقاليدها البدوية، التي لم تعد تنسجم مع الأخلاق الإسلامية الجديدة، فجاءت السورة لتبني قواعد الأخلاق الجديدة في التعامل مع النبيﷺ، ومع الجماعة الإسلامية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. (الحجرات:1).

وفي سورة (الحجرات) تحديد حالة الإيمان الحقيقي: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. (الحجرات:14). تعرض السورة بالبلاغة القرآنية المعروفة، مفهومي: المؤمن والمسلم، والفرق بينهما؛ لتعلم القادمين الجدد حقيقة: من هو المسلم، ومن هو المؤمن.

وعندما شرع البعض بصياغة مفاهيم جديدة بديلًا عن القرآن ويصوغون الدين على وفق هواهم... يأتي الدرس الإلهي: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. (الحجرات:16). وعندما بدأوا يَمنُّون على الرسول إيمانهم... يأتي الرد الإلهي: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (الحجرات:17).

لقد تولى القرآن الكريم تحديد صيغ العلاقة بالرسول والتعامل معه وعدم عرض الآراء في حضرته، إنما ينتظرون أن يسألهم هو، وإن سألوه فهم ينتظرون الإجابة من الله ﷻ، إنه الدين قضية الله تعالى الكبرى.

_سورة الجمعة

في سورة (الجمعة) يبرز الحوار ثانية مع أهل الكتاب الذين بقوا على زعمهم أنهم أولياء الله... وتأتي القاعدة الإلهية منطلق المواجهة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الجمعة:6). ويؤكد القرآن الكريم على حقيقة أنهم لن يتمنَّوْه أبداً بما كسبت أيديهم: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾الجمعة:7. ثم يرعبهم بحقيقة الموت: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. (الجمعة:8). وفيها درس مهم للمسلمين الذين ما زالت قلوبهم لم يدخلها الإيمان الحق، معلقة بالتجارة

والمكاسب الدنيوية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾. (الجمعة:11).

ـ سورة الفتح

في سورة (الفتح) مقارنة بين المؤمنين والمخلَّفين من الأعراب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا(10) سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾. (الفتح:10 ــ 11).

ويُعرِّي القرآن الجبناء والانتهازية والمنافقين(المخلفون): ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. (الجمعة:15).

ـ سورة المائدة

وحسمت سورة (المائدة) مسائل دينية مهمة جدًّا:

1ـ المحرمات:

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. (المائدة:3).

2ـ الحلال:

- قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾. (المائدة:4).

- قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. (المائدة:5).

3.الرد على أهل الكتاب وحقدهم على المؤمنين:

- قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾. (المائدة:59).

4. غضب الله عليهم:

- قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾. (المائدة:60).

5ـ حسم الموقف مع أهل الكتاب:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. (المائدة:68).

قال تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. (المائدة:76).

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾. (المائدة:77).

وتعرض سورة المائدة مسألة مهمة جدًّا كانت مثار خلاف بين مفسري المذاهب الإسلامية، ألا وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾. (المائدة:67).

إن المسألة المكلف بها الرسولﷺ هنا وليس النبي... هي أن يقول:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. (المائدة:68).

ـ ومن التبليغ أيضًا أن يقول للناس:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. (المائدة:69).

ـ سورة التوبة

في سورة (التوبة) تحديد لعزم الانتماء في الدين:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. (التوبة:24).

وفي السورة توضيح لنمط التفكير عند الكافرين والمناهضين للرسالة:

قال تعالى: ﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾. (التوبة:50).

فيأتي الدرس الإلهي ردًّا على هذا الوعي والأخلاق:

قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ(51) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ

يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾. (التوبة:51 ـــ 52).

وستحبط أعمالكم كلها... ولن ينفعكم الإنفاق ضد الرسالة:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾. (التوبة:53).

ولن ينفعكم الحط من قدر الرسولﷺ:

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. (التوبة:61).

قال تعالى:﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾. (التوبة:63).

قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾. (التوبة:64).

وحيت تصفعهم الحقيقة:

قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ(65)لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾. (التوبة65 ـــ66).

الفصل الخامس: أسس الدين في ضوء آيات "قُل"

أولًا: حريّة الاعتقاد

يُطالعنا أول فعل "قل" في سورة (الكافرون) التي تحدد الفاصلة العقائدية بين الإسلام وغيره: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ(2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ لقد حدد فعل القول هنا حريّة اختيار العبادة والاعتقاد، وهذا يعني أن القرآن الكريم افتتح عهده مع البشرية بالحريّة؛ لأنَّ الحريّة تمثّل أهمّ مظهر من مظاهر احترام الإنسان واحترام حقه في اختيار الحياة التي يرضى، وبالتالي مواجهة نتائج اختياره برضا.

والحريّة كما عرفتها الموسوعة العالمية هي: (الحالة التي يستطيع فيها الأفراد أن يختاروا ويقررا ويفعلوا بوحي من إرادتهم دونما أية ضغوط من أي نوع عليهم). وكانت هذه السورة فاتحة عهد الحضارة الإسلامية الجديدة، بناء أمة جديدة على وفق هدى الله ﷻ، فكانت متضمات: ﴿وَلِيَ دِينِ﴾، هي:

- ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ(1) اللَّهُ الصَّمَدُ(2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. (الإخلاص).
- ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴾. (الجن:20).
- ﴿ قُل هَاتوا برهانكم إن كنتُم صادقين﴾. (النمل:64).
- ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آَلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾. (الإسراء:42).
- ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.(الأنعام:19).

ومن ثم توالت النصوص التي تؤصل هذه القضية منها:

ـ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. (البقرة:256).

-﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾. (يونس:99).

ثانيًا: القرآن

بغية الانتصار للتوحيد، والدليل على صدق الداعي إليه، كان لا بد من بيان موقع القرآن الكريم في الدعوة إلى التوحيد، وبيان مرجعيته، والتحقق من صدقه، فكانت المواجهة بين قريش والرسول هي في القرآن الكريم:

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ(67) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾. (ص:67ـــ 68).

﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. (الفرقان:6).

﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (القصص:49).

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾. (الإسراء:88).

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. (يونس:15).

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. (يونس:16).

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (يونس:38).

﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾. (يونس:53).

﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (هود:13).

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾. (هود:35).

﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾. (الأنعام:66).

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آَذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾. (فصلت:44).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾. (فصلت:52).

﴿وَقُلْ آَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾. (الشورى:15).

﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. (الأحقاف:8).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. (الأحقاف:10).

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾. (النحل:102).

يؤكد القرآن الكريم من خلال الفعل "قُل" أن أمر هذا الدين إلهي، وليس للرسول أمر فيه إنما هو مبلغ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾. (آل عمران:128).

غير الذي عينه الله تعالى لك من وظائف في التبليغ والإنذار والتبشير والتبيين، أي عدم إخفاء شيء مما أنزله إليه: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. (النحل:64).

والتبيين هو الكشف عن آيات الله ﷻ وأن لا يخفى منها شيئًا أو يتقول على الله تعالى من عنده: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ(44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ(45) ثُمَّ

لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ(46) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ(47) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾. (الحاقة:44ــ48).

ثالثًا: الوحي

وسيلة الاتصال بين الله والرسولﷺ ناقل علم الله إليه، والعلم الذي جاء به الرسولﷺ دليل على صدق نبوته، بما أثبته من إعجاز:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. (الأعراف:203).

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾. (الجن:1).

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. (الأنعام:145).

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. (الأنعام:161).

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾. (فصلت:6).

﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾. (الشورى:15).

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾. (الكهف:110).

-﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾. (النحل:102).

-﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾. (الأنبياء:108).

رابعًا: الإنذار

وردت صيغة الإنذار في الآيات "قل" لتبيّن لنا إحدى وظائف الرسولﷺ:

_﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾. (ص:65).

-﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. (الأعراف:158).

-﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآَخِرِينَ (49) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾. (الواقعة:49ـــ50).

-﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾. (الإسراء:93).

-﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. (يوسف:108).

-﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾. (الحجر:89).

-﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾. (الزمر:11).

-﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾. (الزمر:14).

-﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾. (فصلت:13).

-﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾. (الأنبياء:45).

-﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾. (الملك:26).

-﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾. (الحج:49).

خامسًا: التبليغ

تتناول آيات "قُل" هنا والوظيفة الأخرى للرسولﷺ، ألا وهي التبليغ، فتذكر الآيات مهمات المبلغ وسلوكه وأخلاقه، لقد أسست آيات التبليغ مع الفعل "قُل" بؤر الرسالة الإلهية للبشر، التي فصل القرآن فيها القول في مناسبات متعددة، وعلى النحو الآتي:

-﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ(1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾. (الكافرون:1ـــ2).

-﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾. (ص:86).

-﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. (الأعراف:28).

-﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾. (الأعراف:29).

-﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. (الأعراف:33).

-﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾. (الجن:20).

-﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾. (الفرقان:77).

_﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾. (مريم:75).

-﴿قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾. (طه:135).

-﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾. (الإسراء:53).

-﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾. (الإسراء:81).

-﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾. (الإسراء:84).

-﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾. (يونس:20).
-﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾. (يونس:69).
-﴿قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾. (يونس:102).
_﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾. (يونس:108).
-﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. (يوسف:108).
-﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾. (الأنعام:50).
-﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. (الأنعام:71).
-﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾. (الأنعام:135).
-﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾. (سبأ:3).
-﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. (سبأ:36).
-﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾. (سبأ:39).
-﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. (الزمر:10).
-﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾. الزمر:15
-﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾. (الزمر:38).
-﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. (الزمر:39).

- ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. (الزمر:44).

- ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. (الزمر:53).

- ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آَذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾. (فصلت:44).

- ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾. (الكهف:29).

- ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾. (إبراهيم:31).

- ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آَذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾. (الأنبياء:109).

- ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. (البقرة:120).

- ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. (البقرة:142).

- ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾. (آل عمران:32).

- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. (آل عمران:64).

- ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾. آل عمران:73

- ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. (آل عمران:73).

ـ ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. (آل عمران:84).

ـ ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. (آل عمران:95).

ـ ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. (آل عمران:154).

ـ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾. (النساء:63).

ـ ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾. (النساء:77).

ـ ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾. (الرعد:16).

ـ ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾. (الرعد:27).

ـ ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾. (النور:54).

ـ ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾. (التغابن:7).

ـ ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾. (الجمعة:11).

ـ ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (المائدة:100).

ـ ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ

وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. (التوبة:24).

- ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾. (التوبة:51).

- ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾. (التوبة:81).

- ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. (التوبة:105).

سادسًا: أخلاقيات الدعوة الإسلامية

كُرس الفعل "قُل" أخلاقيات الدعوة الإسلامية العملية، فنظّم الأخلاق الفردية في العلم والعفّة وطهارة النفس والاستقامة والتقوى والاحتشام وغض البصر والتحكم في الأهواء والشهوات السلبية والصدق والرقة والتواضع والصدق والصبر والثبات ونهى عن الانتحار والكذب والنفاق والبخل والإسراف والرياء والاحتيال والكبر والتفاخر بالقدرات والمعارف والتعلق بالدنيا والحسد والطمع والأسى على ما مضى والفرح بما يأتي والزنا والخبائث.

ونظم الأخلاق الأسرية بدءًا بالإحسان بالوالدين واحترام حياة الأبناء واحترام حقوق الزوجة وإدارة المشاكل داخل الأسرة في إطار مبدأ التشاور وبث روح المحبة والمودة.

وعلى مستوى العلاقات الاجتماعية كرم الله ﷻ الإنسان وحرَّم قتله بغير الحق، ونهي عن السرقة والغش والاختلاس والقرض بفائدة وأكل مال اليتيم وخيانة الأمانة والظلم والتواطؤ على الشر وشهادة الزور وقول السوء والسخرية والتجسس والافتراء والغيبة واللامبالاة بالشر العام، وأداء الأمانة والوفاء بالعقد وإصلاح ذات البين والتراحم والعفو والإحسان والكرم والأخوة والحب العام العدل.

رسم القرآن الكريم كذلك أخلاق الدولة، من خلال تحديد العلاقة بين الرئيس والشعب (وشاورهم في الأمر)، وأقرَّ النظام وحماية المال العام وبيّن أخلاق الشعب إزاء الرئيس، طاعة بالحق والنصح له، وتجنب الفساد وإعداد القوة العسكرية والاقتصادية والأمن الغذائي والنفسي والاهتمام بالسلام العالمي، وحسن الجوار وترك الاستبداد، ومساعدة المستضعفين، والوفاء بالمعاهدات مع الدول، وهذه المنظومة الأخلاقية تتحقق بشكل كفوء حين ننتمي للقرآن الكريم بوعي وتتحوّل إلى حياة:

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾. (ص:86).

﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. (الزمر:10).

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. (الزمر:53).

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آَبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. (الأعراف:28).

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. (الأعراف:188).

﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾. (الجن:21).

﴿ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾. (الجن:22).

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾. (الجن:25).

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾. (الفرقان:57).

﴿ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾. (الشعراء:216).

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آَيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. (النمل:93).

﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾. (القصص:85).

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴾. (الإسراء:84).

﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾. (الإسراء:93).
﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾. (الإسراء:96).
﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آَيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾. (يونس:20)
﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾. (يونس:41).
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. (يونس:104).
﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾. (هود:121).
﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. (الأنعام:14).
﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآَنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آَلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾. (الأنعام:19).
﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾. (الأنعام:50).
﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾. (الأنعام:56).
﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾. (الأنعام:135).
﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾. (الأنعام:147).
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. (الأنعام:162).
﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. (سبأ:36).

﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾. (سبأ:50).

﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾. (الزمر:38).

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. (غافر:66).

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾. (الشورى:23)

﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾. (الزخرف:89).

﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. (الجاثية:14).

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾. (الأحقاف:9).

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾. (الكهف:29).

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾. (الأنبياء:109).

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾. (الأنفال:38).

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾. (آل عمران:12).

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾. (آل عمران:20).

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. (آل عمران:26).

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. (آل عمران:31).

﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. (الأحزاب:16).

﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾. (الأحزاب:17).

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾. (الأحزاب:28).

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. (الأحزاب:59).

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾. (النساء:63).

﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾. (النساء:78).

﴿قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم يحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾. (النور:30).

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (النور:31).

﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. (الحج:68).

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. (الحجرات:16).

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (الحجرات:17).

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (الجمعة:6).

﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾. (الجمعة:11).

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾. (التوبة:129).

سابعًا: العلم

تفرق آيات (قُل) بين علم الله ﷻ وعلم البشر، وهي تجعل العلم من قضايا الدِّين الأساس، فالدِّين في أحد مسمياته القرآنية هو العلم: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. (البقرة:120).

وتبيّن الآيات قيمة الهدى في إدارة العلم والحياة، والهدى هو المنهج الذي يوصل إلى الحق والحقيقة، وقد جاء القرآن الكريم بالهدى الحق للإنقاذ، والعلم الحق، ليكون المنطلق الذي به نعمر العالم:

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. (طه:114).

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (النمل:64).

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾. (النمل:65).

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾. (النمل:69).

﴿وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾. (النمل:92).

﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (القصص:49).

﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾. (القصص:85).

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾. (الإسراء:53).

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. (يونس:15).

﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. (يونس:18).

﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾. (يونس:20).

﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾. (يونس:31).

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾. (يونس:35).

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. (يونس:101).

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾. (يونس:108).

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. (يوسف:108).

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾. (الأنعام:11).

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾. (الأنعام:50).

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾. (الأنعام:51).

﴿قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾. (الأنعام:56).

﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾. (الأنعام:57).

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. (الأنعام:71).

قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾. (الأنعام:90).

﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم واباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾. (الأنعام:91).

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. (الأنعام:161).

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾. (سبأ:46).

﴿قُل إنَّ رَبّي يَقذِفُ بالحقِ علاَّمُ الغِيُوب﴾. (سبأ:48).

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾. (سبأ:49).

﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾. (سبأ:50).

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. (الزمر:9).

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾. (الكهف:29).

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾. الملك:23

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾. (الروم:42).

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. (العنكبوت:20).

﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. (البقرة:111).

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. (البقرة:120).

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾. (آل عمران:20).

﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. (آل عمران:73).

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾. (النساء:63).

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾. (الرعد:16).

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾. (الرعد:27).

ثامنًا: الرزق والاقتصاد

الرزق عطاء الله ﷻ للبشر، هو كل الموارد الطبيعية التي لا دخل للإنسان في إيجادها، غير أن الاقتصاد هو العمل على تحويل هذه الموارد الطبيعية بالعمل إلى موارد اقتصادية نافعة، وقد أسست آيات "قُل" في الرزق قواعد البناء الاقتصادي الخلاق للانتفاع بهذا الرزق بتسخير كل الإمكانيات العقلية والجسدية لتحويله إلى قوة اقتصادية تحقق الأمن الاقتصادي والعسكري للأمة.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾. (يونس:31).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾. (يونس:59).

﴿قُل مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾. (سبأ:24).

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾. (سبأ:39).

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾. (إبراهيم:31).

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾. (البقرة:215).

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾. (البقرة:219).

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾. (المائدة:4).

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. (الأنعام:151).

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. (الأعراف:32).

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. (الأنفال:1).

﴿وَإِذْ آَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. (البقرة:53).

تاسعًا: البرهان والدليل

مبحث التحدّي والمواجهة الحاسمة مع مناهضي الرسالة والدعوة، هو مبحث أدلة وجود الله ﷻ والنبوة، لقد واجه الرسول ﷺ محنة تساؤلات الكافرين والملحدين الناكرين لوجود الله ﷻ، ونبوته، فكانت إجابات الوحي تحدد له القول في هذه المسألة، وتحدد الأدلة والبراهين التي ينطلق منها العقل الإسلامي في مواجهة الإلحاد، وعلى النحو الآتي:

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (البقرة:94).

﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (البقرة:111).

﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. (البقرة:140).

﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (آل عمران:93).

﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (آل عمران:168).

﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. (المائدة:17).

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. (الأنعام:17).

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾. (الأنعام:19).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾. (الأنعام:46).

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾. (الأنعام:47).

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾. (الأنعام:63).

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾. (الأنعام:65).

﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم وآباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾ (الأنعام:91).

﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾. (الأنعام:148).

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾. (يونس:34).

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾. (يونس:35).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾. (يونس:50).

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. (يونس:101).

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾. (الرعد:16).

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾. (الإسراء:42).

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾. (الإسراء:56).

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾. (الأنبياء:24).

﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾. (الأنبياء:42).

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. (المؤمنون:84).

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾. (المؤمنون:86).

﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. (المؤمنون:88).

﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (النمل:64).

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾. (النمل:65).

﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (القصص:49).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾. (القصص:71).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾. (القصص:72).

﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾. (الأحزاب:17).

﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. (سبأ:27).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾. (فاطر:40).

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾. (يس:79).

﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. (الجاثية:26).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (الأحقاف:4).

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾. (الملك:23).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾. (الملك:30).

عاشرًا: أسئلة الحياة وقضاياها

إدارة الحياة تتطلب منهجًا يوجد الأمة للعيش المشترك، منهج تتوحد فيه الرؤى، والوسائل والأهداف، وقد تحددت ملامح هذا المنهج من خلال الأسئلة التي كان المسلمون الأوائل يطرحونها على الرسولﷺ، ولم يجب عليها منتظرًا إجابة الوحي، وهكذا كثرت الأسئلة، وتحددت الإجابات في قضايا الحياة كافة.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (البقرة:189).

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ

فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. (البقرة:217).

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾. (البقرة:219).

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. (البقرة:220).

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾. (البقرة:222).

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾. (النساء:127).

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. (النساء:176).

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. (الأنعام:162).

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. (الأعراف:28).

﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾. (الإسراء:23).

﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾. (الإسراء:34).

﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾. (الإسراء:28).

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾. (الإسراء:80).

﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾. (المؤمنون:29).

﴿قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم يحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾. (النور:30).

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (النور:31).

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾. (الزمر:11).

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. (الزمر:53).

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. (الحجرات:14).

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. (الحجرات:17).

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾. (الفلق:1).

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾. (الناس:1).

الحادي عشر: الغيب

يعد أهم قضايا الدّين العقدية، الذي يحقق الإيمان به أرقى درجات الإيمان، ولهذا لم يترك أمره للرسولﷺ يقول فيه ما يشاء، إنما تتحدد قضاياه عبر الوحي.

﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾. (آل عمران:29).

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. (الأعراف:187).

﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾. (يونس:20).

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. (الإسراء:85).

﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾. (الفرقان:6).

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾. (النمل:65).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾. (سبأ:3).

﴿قُل إنَّ رَبّي يَقذِفُ بالحقِ علاَّمُ الغِيُوب﴾. (سبأ:48).

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾. (الزمر:46).

الثاني عشر: السياسة

هي فن إدارة الحياة ومصالح الأمة، ولكيلا تكون السياسة أداة صناعة الفوضى، والفساد، رسم القرآن الكريم أليات العمل السياسي الحق، باعتماد هدى الله (ﷻ)، وأخلاقيات إدارة الأمة.

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. (الأنعام:71).

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾. (الأنعام:90).

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾. (الأعراف:29).

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. (التوبة:105).

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. (آل عمران:26).

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. (آل عمران:31).

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾. (آل عمران:32).

﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. (آل عمران:73).

﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. (آل عمران:84).

﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. (آل عمران:154).

﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾. (النساء:78).

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. (الأنعام: 12).

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. (الأنعام:14).

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾. (الأنعام:19).

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. (التوبة:24).

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾. (التوبة:51).

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾. (التوبة:129).

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾. (يونس:58).

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾. (الرعد:27).

﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾. (الرعد:30).

﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾. (الرعد:36).

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ (الرعد:43).

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ . (إبراهيم:31).

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾. (الملك:29).

﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾. (الجن:22).

الثالث عشر: البعث

هو أهم قضايا الدّين العقدية، وهو أحد نقاط الصراع مع العقل القرشي الإلحادي الذي لم يستطع استيعاب إعادة الخلق والبعث من جديد في يوم علمه عند الله ﷻ.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾. (آل عمران:12).

﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾. (التوبة:81).

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾. (إبراهيم:30).

﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾. (الإسراء:51).

﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾. (الحج:72).

﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾. (الفرقان:15).

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾. (الأحزاب:63).

﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. (الجاثية:26).

﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ(49) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾. (الواقعة:49-50).

﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾. (التغابن:7).

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾. (الملك:24).

الخاتمة

وضحت لنا آيات "قُل" أمورًا مهمة، فكانت فيصل التفرقة بين النبي والرسول، فهي للرسول (تبليغ)، وهي للنبي(تطبيق). وله أن يجتهد في تنزيل شؤون الدنيا في إطار عصره، فهو لم يفسر القرآن الكريم كما يدعي البعض، ولم يبيّن القرآن حسب مفهوم البعض الذين عدّوا السنة تبيانًا للقرآن الكريم، فالقرآن يرفض هذا التصور؛ لأنه هو الذي بَيّن أحكام الدين.

﴿ثمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ(54) لِيَكْفُرُوا بِمَا آَتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ(55) وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ(56) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ(57) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ(58) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ(59) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(60) وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ(61) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ(62) تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(63) وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. (النحل:54-64).

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾. (النحل:89).

ذلك لأنَّ الكل ملزمون بطاعة القرآن واتّباعه، وللنبيﷺ مسؤوليتان: مسؤولية التبليغ وإظهاره للناس، ومسؤولية التطبيق في ضوء أحكامه.

ـ ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. (المائدة:16).

ـ ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾. (الأنعام:106).

إنَّ آيات "قُل" معززة بآيات(الاتباع)، توضح بما لا يقبل الشك، إن النبي وأمته مأمورون باتباع القرآن الكريم؛ لأن النبي حين ينطق بالقرآن فهو الرسول الذي طاعته طاعة الله ﷻ : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾. (النساء:80).

لا نهضة بغير القرآن الكريم، والاستمرار على ما خلّفه السابقون، معناه استمرار الارتكاس إلى السكون الحضاري، وغياب العقل.

قائمة المصادر

1. القرآن الكريم
2. أ. كوهن، التلمود. عرض شامل للتلمود وتعاليم الحاخاميين حول: الأخلاق، الأدب، الدين، التقاليد، القضاء. ترجمة: جاك مارتي، نقله إلى العربية: د. سليم طنوس، دار الخيال، بيروت ـــ لبنان، ط/1، 2005م.
3. أرمينكو، فرانسوا. المقارنة التداولية. ترجمة: سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، ط/1، 1987م.
4. إسلامبولي، سامر. تحرير العقل من النقل، وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم. الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق ـــ سوريا، (د. ط)، 2001م.
5. آن رودبول، جاك موشلار. التداولية اليوم، علم جديد في التواصل. ترجمة: سيف الدين دغفوس وآخرون، مراجعة: د. لطيف الزيتوني، المنظمة العربي للترجمة، بيروت ـــ لبنان، ط/1، 2003م.
6. بلانشيه، فيليب. التداولية من أوستن الى غوفمان. ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية ـــ سوريا، ط/1، 2007م.
7. بوجادي، خليفة. في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم. بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط/1، 2009م.
8. تومي، عيسى. الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني، سورة البقرة أنموذجاً. رسالة ماجستير، جامعة محمد خضير، بسكرة، مكتبة الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، 2015م.

9. الجابري، محمد عايد. فهم القرءان الحكيم، التفسير الواضح حسب ترتيب النزول. (3 أجزاء)، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت ـــ لبنان، ط/1، 2009م.

10. جربوعة، إيمان. قضايا التداولية في الخطاب القصصي القرآني، قصة سيدنا يوسف أنموذج. الندوة الدولية الثانية، جامعة الملك سعود، كلية الأداب، قسم اللغة العربيةوآدابها، 25ـــ 27/4/2014م.

11. حللي، عبد الرحمن. حرية الاعتقاد في القرآن الكريم، دراسة في إشكاليات الردة والجهاد والجزية. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـــ المغرب، ط/2، 2001م.

12. حمداوي، جميل. التداوليات وتحليل الخطاب. (د. ت)، ط/1، نسخة الكترونية، 2015م.

13. دراز، محمد عبد الله. دستور الأخلاق في القران، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن . ترجمة وتحقيق: دكتور عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، دار البحوث العلمية، بيروت ـــ الكويت، ط/4، 1402ه ـــ 1982م.

14.درقاوي، مختار. قراءة التراث الأدبي واللغوي في الدراسات الحديثة. الندوة الدولية الثانية، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، 25 ـ 27 /2/2014م.

15. سيرل، جون. العقل واللغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الواقعي). ترجمة: سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت ـــ لبنان، ط/1، 2006م

16. الشريفي، رحيم. الشمري، زينب. قواعد التخاطب اللساني في معاني القرآن للفراء(ت207ه). دراسة تداولية، جامعة بابل، كلية الدراسات القرآنية، العدد32، 2007م.

17. صحراوي، مسعود. التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية بظاهرة (الأفعال الكلامية)، في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت ــ لبنان، ط/1، 2005م.

18. طرابيشي، جورج. من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث. دار الساقي، بيروت ــ لبنان، ط/1، 2010م.

19. العمري، أحمد خيري. البوصلة القرآنية، ابحار مختلف بحثاء. خريطة للنهضة، دار الفكر، دمشق ــ سوريا، ط/1، 2003م.

20. الفارس، جاسم. فاعلية العقل الاقتصادي الإسلامي، مقارنة وتأصيل. دار مجدلاوي، عمان ــ الأردن، ط/1، 2010 ــ 2011م.

21. لعور، أمنة. الأفعال الكلامية في سورة الكهف، دراسة تداولية. رسالة ماجستير، جامعة منثوري، قسنطينة، مكتبة الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وأدابها،2011م.

22. المتوكل، أحمد. الوظائف التداولية في اللغة العربية. دار الثقافة، الدار البيضاء ــــ المغرب، ط/2، 1985م.

23. منصور، أحمد صبحي. القرآن وكفى، موقع أهل القرآن، نسخة الكترونية.